قصيدة بل اسطورة !

☆

هذا التعاون الثقافي المنشود بين الاقطار العربية نريده حقيقة ماثلة للعيان، حقيقة ملؤهـا الحياة والحركة، ولكنهم – عفا الله عنهم – أرادوه قصيدة، نُظم مطلعها منذ ثلاثة اعوام على ضفاف النيل، ونُظم قسم منها على ضفاف بردى منذ عام وبضعة اشهر، ونُظمت التتمة تحت ظلال الصنوبر في بيت مري . . .

التغني بالتعاون جميل، ولكن التعاون الحقيقي اجمل منه، فقد آن لنا في دنيانا العربية المتوثبة ان تخرج مشاريعنا من حيز التصور والتصميم الى حيز العمل والتنفيذ . . لا سيما بعد مرور ثلاث سنوات .

نحن لا نود ان نوجه النقد الى هيئة معينة في اي قطر عربي، واذا وجهنا النقد فانما نوجهه نقداً عمرانياً اصلاحياً بناء . .

تعالوا نستعرض اعمال اللجان الثقافية في العواصم العربية، او في جامعة الدول العربية بالقاهرة نفسها فماذا نجد ؟ . .

نجد بضع كراريس كتبت – على عجل – وطبعت طبعاً انيقاً ثم وزعت على الاقطـار العربية، وصادق ممثلو الدول العربية على بعضها في مؤتمر بيت مري . . .

هذا كل ما نجده ويا للاسف ! . . .

ثم على ماذا تحتوي هذه الكراريس ؟ . هي تضم عدداً من الاسئلة صيغت بشكل يوحي جواباً معيناً مقصوداً، وهي تتناول القدر المشترك من قواعد اللغة وآدابها والتاريخ والجغرافية والتربية الوطنية .

أليس من المؤسف حقاً ان نبحث القدر المشترك في هذه الموضوعات، قبـل ان ندرس المستوى العلمي الدراسي في مختلف مراحل الدراسة بين الاقطار العربية ونعمل على توحيده ؟ . فالمستوى الابتدائي في العراق مثـلاً يختلف عنه في مصر، والمستوى الثانوي في لبنان يختلف عنه في سوريا والعراق . . ثم هذه المناهج نفسها هل درسناها وقابلنا بينها وعملنا على توجيهها وجهة واحدة وعلى اسس موحدة مشتركة قبل ان نبحث عما اذا كان الطالب العربي يجب ان يدرس المستثنى بالا في المرحلة الابتدائية ام الثانوية ؟ .

وهل تقوم اللجان الثقافية بدرس مشاكل المعلمين واعدادهم، والبعثـات العلمية وكتب الدراسة، والرحلات المشتركة وتزاور كبار الادباء والعلمـاء العرب، والمكتبة العربية، والتأليف، والتعاون على احياء التراث القديم، والتعاون على تنشيط التأليف وتوجيهه . . وغير ذلك من الشؤون الثقافية المشتركة ؟ ومـا هو نصيب الادب والفن (الموسيقى والتصوير والنقش) من عناية اللجان الثقافية ؟ . .

واي أثر كان لتواصي مؤتمر بيت مري ؟ .

هل تقيدت بها دولة واحدة من دول الجامعة ؟ . . .

انا اعلم حق العلم ان اللجنة الثقافية في لبنان موزعة في فضاء الله، فالاب يوحنا مارون في باريس، والاستاذ حليم ابو عز الدين في القاهرة، والاستاذ تقي الدين الصلح لا يعرف احد مقره اليوم، والاستاذ واصف بارودي في بيروت، واما رئيسها الامير الدكتور رئيف ابو اللمع فموزع بين الطب والنيـابة والثقافة . . ولم تعقد هذه اللجنة اي اجتماع منذ تأليفها، اي منذ عامين . . .

كراريس انيقة على ورق صقيل، ومآدب سخية، ولجان ثقافية لا تجتمع . .

هذا هو التعاون الثقافي بين الاقطار العربية . . قصيدة . . بل اسطورة ! !

عبدالله المشنوق

نظرية الزواج عند الوجودية

بقلم الدكتور عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بجامعة فؤاد الاول

☆

كل نظرية عند الوجودية تنبع من تجربة حيـة . والتجربة الحية في هذا الباب ، باب الزواج ، هل تلك التي عاناها كيركجورد ، نبي المذهب الوجودي كله . فقد أخذت بمجامع قلبه فتاة اوفت على الرابعة عشرة ، تدعى رجينا اولزن . لم يكن فيها ما هو خارق يستأسر ، لكن متى كان بارعاً في الرماية هذا الطفل اللعوب كيوبيد ؟ ومضت سنتان او يزيد وهو يغذو هذه العاطفة بقوت الخيال المشبوب لفتى يختـال في المواكب الزاهية لسنوات العشرين . فأخذ العشق يلوذ بأعالي الاحلام الرفافة دون ان ينظر تحته فيهبط بقوت الارض نوازعه . الى ان ايقظته الغيرة ذات صباح لما ان استكت مسامعه بنبأ رهيب هو ان اشليجل ، الاديب الالماني الكبير ، قد التمس يد الفتاة . هنالك نبا به فراش الاوهام الذي هدهدته قشعريرة الوجد السادر في عليين ، فاندفع هو يلتمس يدها . وظفر بها ، اذ شفع له قدم عهده بتعلقها ، فكانت خطبة بينهما.

لكنه سرعان ما تبين استحالة هذه الخطبة ، لقد حمل عليها حملًا املته الغيرة ، فهل يمكن هذه العاطفة ان تكون صادقة ؟ كلا ! ثم ماذا ؟ ثم هناك ما هو اعمق من هذا كله ! لقد تبين له استحالة الجمع بين رسالته الروحية وبين حياة التأهل .

ذلك ان الناس عند الوجوديين ثلاثة : رجل جمال ، ورجل اخلاق ، ورجل دين . ولذا فمدارج السالكين سبيل الحياة ثلاثة : المدرج الجمالي ، والمدرج الاخلاقي ، والمدرج الديني . الاول يحيا في اللحظة الحاضرة المنعزلة ، والثاني يحيا في الزمان ، والثالث يحيا في السرمدية . عند رجـل الجمال والحساسية لا عبرة الا بالمتعة ، ولهذا فهو ينتهب اللذات ، ويسرف في الاخذ منها كلما عرضت له ، ولا يرتبط بشيء ، لان كل ارتباط او واجب يقيده ، وكل قيد فيه تعلق بلحظة مقبلة واخرى مدبرة . فلكل لحظة اصدقاؤها وواجباتها ، ولكل فعل ملابساته وموجهـاته ولكل وضع مسلك يتكيف وفقاً له . وشعاره يمكن ان يصاغ في تلك العبارات المشهورة : « تمتع بيومك » Carpo diem أو « أحب مـا لن تراه مرتين » كما يقول الفرد دي فني ، الشاعر الفرنسي المشهور . ولهذا فأبغض شيء لديه التكرار ، لان في التكرار ثلمـاً لحد العاطفة المرهف ، وهو انما لا يستطيع الاستمتاع باللذة الا في عنفوانها ولا يهوى التقاط الشهوات الا اذا احرقت انامله بتبادلها . انه لا يستقر على حال ، وينشد التغير المستمر في المكان والزمان والاوضاع . ومن هنا انتفت عنده الصداقة ، واستحـال الزواج ، لان كليهما يستلزم التكرار والذكرى وبقـاء الاحوال عـلى حالهـا . انه الآخر يقتل الوقت ، لكن عـلى طريقته ، ولكل من الناس طريقته في الصراع مع الزمـان . وطريقة رجل الجمال والحساسية ان يتصور لحظات الزمان منعزلة ويعطي كلاً منها استقلالها وقيمتها الذاتية : فلا يستمتع بلحظة على حسـاب اخرى عن طريق الذكرى ، ولا يفوّت لحظة طمعاً في اخرى مقبلة على سبيل الرجاء والتوقع . ولذا فالمرأة عنده اداة للغزو وليست غاية للتملك . وقيمة الغزو في الغزو نفسه ، حتى اذا انقضى لم يعد بعينه مما غزاه شيء . كل همه اذاً في ان ينتصر ، اما الملك وبسط سلطان الامتلاك ففضول لا يعنيه : وسواء لديه احتفظ به او لم يحتفظ ، كما كان الشأن عند نابليون . انه ليحلق دائماً فوق الروابي ،



الدكتور عبد الرحمن بدوي

« والمرء اذا صعد الرابية لا يرى الا الشيء الآخر، واذا هبط كان عليه ان يسهر على نفسه ، على الصلة الدقيقة بين نقطة الارتكاز وبين مركز الجاذبية [1] » .

ذلك رجل الجمال والحساسية . اما رجل الاخلاق فيرى معنى الحياة والوجود في العيش تحت لواء المسؤولية والواجب ، وكلاهما يقتضي الذكرى والتكرار، لان المسؤولية والواجب هما نحو شيء كان او سيكون ؛ فلا بد اذاً من ان يكون كل منهما حاضراً في ذهن صاحبه على الدوام . هما اذن يستلزمان الذكرى ، وهما كذلك يقتضيان التكرار ، لان المسؤولية تقوم في كل لحظة ما دام موضوعها قد عرض ، ولا بد ان يكون المرء على استعداد متصل لتحملها، والواجب لا بد من اضطرار المرء الى ادائه هو نفسه في كل مرة تتوافر فيها شروط القيام به وتقتضيه الاحوال . فعلى الاخلاقي مسؤوليات وواجبات في المجتمع الذي يعيش فيه ، وفي الدولة التي ينتسب اليها، بل ونحو الانسانية عامة ان ارتفع شعوره الى مستوى عالمي . ومن بين هذه الواجبات ومن اقدسها عنده واجب البقاء للنوع ، مما يتمثل في الزواج بما يندرج تحته من مختلف الوان المسؤولية: نحو الجنس الآخر ، ونحو الولد ، ونحو العصبية . ولهذا فان جذوره تمتد في اعماق المجتمع، ولا بد له ان يحسب حساب كل ما فيه ؛ ولهذا يأخذ في اموره بالوسط ، لان الوسط اضمن مقياس لارضاء كل الاطراف والعناصر المكونة للمجتمع الذي يضرب هو بأصوله في باطن تربته . ومن هنا فانه هو الذي يضع القيم الاخلاقية ، بالمعنى الشائع لهذا اللفظ ، فالاخلاق بهذا المعنى هي مقاييس الوسطاء من الناس ، وارسطو كان مصيباً كل الاصابة في نظرته الى الفضيلة — اعني المقياس الاخلاقي — على انها الوسط بين طرفين . وهذه العلة في ان كل الذين رفضوا فكرة الوسط نظروا الى عملهم على انه تحطيم للاخلاق ، او في القليل على انه فوق الخير والشر ، اعني الاخلاق المعروفة المألوفة ، لان شرعة القيم التي اتوا بها لم يقصدوا بها الى المتوسطين من الناس ، بل الى طائفة ممتازة عالية على الوسط والمتوسطين . وعلينا ان نفهم فكرة ارسطو عن الوسط بهذا المعنى وحده وهو : المتوسطّ في كل شيء . مما يصلح للانطباق على المتوسطية من الناس ، وعدا هذا المعنى تحايل يفقد الاخلاق الارسطية مقصود صاحبها . هذا الاخلاقي اذن يدعو الى القيم المتوسطة ، والتمييز بين الخير والشر عنده يقوم على فكرة الوسط والمتوسط في كل شيء : في المعاني والاحياء . وهو ينشد التكرار، لان فيه توكيد الاستمرار ونفي التنوع ، وبالتالي المغالاة في التوسط، لان التوسط لا يتحقق في التفرد، انما في الصور المكررة ابداً .

(1) كير كجورد : « احدى خصلتين » ، ص ٤٤٥ . ترجمة فرنسية لبريور وجنيو ، باريس سنة ١٩٤٣ . Kierkegaard: Ou bien... ou bien, tr. Prior et Guignot.

اما الرجل الديني فلا يحيا في الزمان ، لانه اشاح بوجهه عن هذه الدنيا ، وولى وجهه قبل الآخرة ، قِبل عالم فوق الزمان ، لا لانه تجزئة مطلقة للزمان ، بل لانه في مرتبة اعلى . « ليس عند ربكم صباح ولا مساء [1] » ، ولهذا فهو متجرد عن الدنيا وعن الزمان ولا صلة له الا بالسرمدية . ان اراد خطبة خطب في السماء فتلمس يد روح من تلك الارواح النورانية التي تحلق في الملأ الاعلى ، وان كان فتاة اعلنت خطبتها الى الله ان ظفرت بالرضا وبلغت مرتبة النفس المطمئنة . وكل معاييره انما تصدر عن تلك الحياة الازلية الابدية التي يتصور نفسه يحياها في حضن الالوهية ، وبالجملة فأحواله هي تلك الاحوال والمقامات المعروفة عند الصوفية .

تلك اذن هي المدارج الثلاثة على درب الحياة . اتراها مستقلة بعضها عن بعض ؟ هي مستقلة ، وهي متصلة . مستقلة لان الانتقال من مدرج الى آخر لا يتم الا « بوثبة » ، او بتحول حاسم مفاجىء في احواله الروحية ، وهي وثبة لا معقولة ، اعني انها لا تتحقق بطريقة منطقية بحيث تأخذ المرحلة الاخلاقية برقبة المرحلة الجمالية ، والمرحلة الدينية برقبة المرحلة الاخلاقية ، بل لا بد ان تكون ثمت هوة تفصل بين كل منها . ومع هذا فيمكن ان يقال على نحو ما ان هذه المراحل يفضي بعضها الى بعض، ذلك ان المرحلة الجمالية تؤدي الى مرحلة السخرية ironie ، وهذه تؤدي الى المرحلة الاخلاقية ، وهذه بدورها الى مرحلة العبث humour ، وهذه تقتاد في النهاية الى المرحلة الدينية . وكل هذا قد يقع بالنسبة الى الشخص الواحد : فيبدأ حياته بالاخذ بجانب الجمال والحساسية ، جانب الاحساس المتهبة واللذة العاجلة بكل معانيها ، غير عابىء بشيء مما يتصل بالاخلاق او الدين ، ولسان حاله يقول مع طرفة :

الا ايهذا الزاجري احضر الوغى وان اشهد اللذات، هل انت مخلدي؟!

ثم يستولي عليه الملال بعد مدى يتراوح طوله وفقاً للمزاج الشخصي ومقدار ما انتهب من اللذات — هذا الملال القبيح الخبيث الدنيء الذي لو شاء لجعل من الارض حطاماً وابتلع العالم في تثاؤب واحد ، هذا الوحش الرقيق الذي يحلم بالمقاصل وهو يدخن نارجيلته وفي عينه عبرة تمتلىء بها رغماً عنه — كما يقول

(1) السهروردي : « اصوات أجنحة جبرائيل » ، راجع كتابنا « شخصيات قلقة في الاسلام » ، ص ١٥٥ ، القاهرة سنة ١٩٤٦ .

عاشقان

☆

في عـالم متسـام … به الخيال يخفُ ،
أنى التفت فـإلف … حلو ، يناغيه إلف !
في ظل لقيـاك الفيت … كل شيء يرف
فتنتشي مهجتـانا … من الرؤى .. ثم نغفو ،
عـلى ترانيم حب … وللدجى ثَم زحف

***

ونستفيق وكل … الى هواه الاخف
تلامست شفتـانا … فكان ضم ورشفٌ
حتى اندمجنا فكنا … روحاً بجسمين تهفو
والساع تمضي وتمضي … فـانني أو نكفّ

***

وما الزمان وما كنه … ساعه حين يصفو ؟!
الي تصغين . نشوى … وبـين كفي كف
رواء حسنك نبع … عمـا كنت يشف
منه استقي بنفسي … عطف وظرف ولطف
فكان لي فيك شعر … كقلبك العف عف

***

مـنزه اللفظ عذب … لم ينبُ لي فيه حرف
وتذهبين فطرفي … قلب وقلبي طرف
أخشى بعادك عني … والشوق يرسو ويطفو
مخاوف الحب شتى … في الحب عنف وضعف
جثوت اشكو ونفسي … ولهى ودمعيَ وكف

***

وترجعين فـأنسى … مخاوفي .. وألفّ ..
قوامك اللدن . إني … نصف مواتيه نصف
الحب حبك هذا … ما فيه وعد وخلف !
سأسأل الناس عنه … وبالجوانح لهف :
أكان ما كان حقاً … ام ان ذلك طيف ؟!

بغداد … ابراهيم عوابديا

بودلير[1] . هنالك ينيخ عليه اليأس بكلاكله ، فيشعر بفراغ في الحياة لا يكاد يملؤه شيء ، فيعتريه ميل الى السخرية من كل شيء لانه يذوق طعم التفاهة في الاشياء والاحياء . وهذه المرحلة ، مرحلة السخرية ironie ، هي مرحلة الانتقال فيا بين مرحلتي الجمال والاخلاق . فلا يبقى عليه اذاً الا ان يجتازها — على نحو ما تيسر له — ليلحق بالاخلاق . فان اجتازها بسلام ولم يلوِ على شيء صار مواطناً صالحاً ، شاعراً بواجباته ، حريصاً على احتمال المسؤولية التي القاها على عاتقه وضعه الجديد ، فيرى هنالك ان الغاية من الحياة هي في التوطن في المجتمع وفي الزواج ، حتى تكون صلته بالمجتمع والدنيا صلة قوية ، دموية .

لكن أتراه يقف ؟ هيا تقدم ! لقد بدأت فلتكمل السبيل حتى النهاية . ما حياتك في الدنيا الا معبر الى الآخرة ، فما يكفي انك غُصت بجذورك في اعماق المجتمع ، بل عليك ان تشرع اغصانك الى السماء : فان كنت من قبل قد جعلت اصلك ثابتاً في الارض ، الا فلتصاعد الآن بفرعك الى اعلى السماء ، لترى كل شيء ما خلا الله باطلاً ، وترتفع الى صورة السرمدية . وتلك هي مرحلة العبث humour الذي يصور كل ما في الدنيا على انه زينة ولهو وغرور وتفاخر بالاموال والاولاد . هنالك يزدري رجل الاخلاق لانه وقف دون الغاية ، ومرحلة العبث هذه هي معبر الانتقال الى المرتبة الاخيرة ، المرتبة الدينية التي يصبح فيها وحده مع الله وحده .

فسبيل الحياة اذن يمكن ان يكون متصل الحلقات : يبدأ من الحساسية ويمر بالاخلاق ثم ينتهي الى القداسة .

وصاحبنا كيركجورد قد حيّ كل هذه المراحل في نفسه ، فأبصر نهاية الطريق يوم ان بصّرته خطبته الى رجينا اولزن بمراحل الطريق ، طريق الحياة . اجل ، لقد دلته هذه الخطبة الى سبيله السوي ، سبيل النبي اسحق ، سبيل التضحية والاستشهاد في سبيل الرسالة الروحية العليا . فلم يمض عام حتى رد الى رجينا خاتم الخطبة دون ان يتقدم بين يديها بمعاذير ؟ ماذا اذن ؟ .

هذا « سره الرهيب » ، هذه هي « الشوكة في لحمه » ، هذا ما سيحمله وحده صليباً عاتياً على عاتقه الهزيل وهو يسير على درب الحياة .

أتراه فقد شيئاً ؟ من يدري ! « لعله فقد كل شيء هذا الذي لم يفقد غير خطيباه »[2] .

عبد الرحمن بدوي

---

(١) « ازهار الشر » ، قصيدة « الى القارىء » ، ص١٨ ، نشرة لابلياد La Pléiade ، باريس سنة ١٩٤٤ .

(٢) كيركجورد : « التكرار » ، ترجمة فرنسية ، ص ١٤٤ .

الارابسك في الصورة

بقلم صليبا الدويهي

☆

لم تستيقظ الملكة الفنية عند اللبناني الا مؤخراً ولكن جاءت كالفتح المبين ؛ ورحم الله كنعان ديب ، ومن بأيامه امسك ريشة وشد قماشة .

ما تجسمت علائم التصوير اليدوي في لبنان الا في اواخر القرن الماضي ، ما انبثق فجره جلياً الا لما ابصر النور داود القرم وحبيب سرور وخليل الصليبي وفيليب الموراني وهؤلاء هم واضعو حجر الزاوية في بناء الفن اللبناني .

واليوم وقد بدأت النهضة الفنية الحديثة تشاد فوق البنيان المرصوص الذي اسسه رجالات الفن الماضي بناء محكماً وذلك خلال السنوات العشر الاخيرة ؛ وانه بفضل انتاج الفنانين الحديثين ومعارضهم المتفوقة واساليبهم المتنوعة ، يزداد عدد المتذوقين يوماً بعد يوم .

من الصعب جداً في وقت قصير ان يبلغ الانسان درجة عالية في تفهم الفنون ، واذا رأينا السواد الاعظم من الشعب الاوربي يتذوق ويفهم ويقدر اللوحة الفنية فلأن شعب اوربا سليل اجيال تمخضت بالفنون فولدت فناً تناوبته على الاجيال فترات هبوط وصعود الى ان اصبح وقد صهرته العبقريات فناً خالصاً خالداً .

مما لا شك فيه ان اكثرية الشعب اللبناني بدأت تتذوق اللوحة الفنية وتتعطش الى فهمها وقلما تجد من يحلل لها ميزاتها تحليلاً علمياً مجرداً عن كل هوى منزهاً من كل غاية .

ونحن ما ابعدنا عن تفهم اللوحة الفنية تفهماً علمياً صحيحاً وما اعجزنا عن تطبيق المقاييس الجمالية على لوحة فنية ، وما اكثر ما يسوق احكامنا الفنية هوس شخصي وعاطفة لا تمت الى الفن بصلة ، فاذا اللوحة المبتذلة تحفة رائعة واذا التحفة الرائعة لوحة مبتذلة .

لبنان اليوم بحاجة الى نقاد فني خبير مخاص في نقده يفهم معاني الرسم في اللوحة ، في قوته وفي ضعفه -- كثرة الترديد في اظهار الحجم بالرسم وقلة الرسم بالحجم وباظهاره بصورة تكاد لا يتبين فيها الرسم ووضع اللون الذي ينم عن رسم ، ورسم ينم على لون — ويجب على النقاد ان يظهر تفوق الرسم في شكل من الاشكال مثل موضوع نراه من عل ، او نراه افقياً او من اسفل او ان نتخيل الموضوع اشخاصاً سابحة في الفضاء . أليست تلك الاشخاص التي رسمها ميكالنج سابحة في الفضاء معبد سكستي آية من آيات الرسم الخالدات .

ليس كل من ركب الخيل عد ممتلياً ، وليس كل من يكتب عن الفن عد نقاداً وحجة . ان النقد الفني الصحيح موهبة قبل ان يكون اكتساباً ، ثم يتعهده صاحبه بالممارسة والتمرس بفنون الرسم اي تعلم اصول الرسم ومزج الالوان ، ونوعية العمل الفني التي تضع القطعة الفنية في مقام هام ، ثم تردده على المتاحف ومحترفات الفنانين ، والانتباه التام الى كيفية الابتداء بالقطعة وكيفية الانتهاء منها ليتعرف الى مواقع الضربات الحارة منها والباردة والى توزيع اللمسات والانتقال من الظلال الى ما بينها ، والى الالوان الى نقاط النور ، وفي ابراز الظلال على اللوحة تتجلى مقدرة الفنان . من اراد ان يحلل القطعه الفنية تجب عليه معرفة كل ما تقدم واعظم من ذلك ان يبين الناقد المعاني الدقيقة التي تثقل بها « لطشات » خفيفة سريعة مرت بها على اللوحة يد الفنان العصبية وقد يعدها غيره انها خبط عشواء اوهي فوضى في التصوير ثم اشراف الناقد اشرافاً عاماً على جميع اساليب المدارس الفنية ومعرفة اسلوب كل مدرسة في كل جيل الى يومنا هذا . هذا الاشراف لا يكون مجدياً من الجهة التكنيكية اذا لم يكن للمشرف إلمام بالابعاد وتزاوج الالوان وتبيان الموضوع بخطوط هي اساس الموضوع مثل التي تبدو

☆ القيت هذه المحاضرة في الدرس الرابع من سلسلة تاريخ التصوير الزيتي الذي تعطيه اللجنة الفنية في النادي الثقافي العربي ببيروت .

في لوحة قايين قاتل اخيه للرسام بريدوم، خطوطها كلها تسير غاضبة ناقمة كالعاصفة وكلها في اتجاه واحد هو الركض السريع وراء القاتل الهارب.

عندما تتجمع جميع هذه المعلومات الفنية عند النقاد الفني يأتي ولا شك تحليله مفيداً، وعند ذاك لا تستيقظ الملكة الفنية عندنا فحسب بل تثور ثورتها المفيدة، وتندفع في اتجاهها الفني الصحيح.

سنظل حيارى مدهوشين أمام كل قطعة فنية وشفاهنا تتلفظ بكلمات الشك واليقين اذا لم نتعرف الى النقد الحقيقي الرصين. ونبتعد — ما وسعنا — عن الاطراء، هذا الاطراء البالغ عندنا حد التزلف والسخرية. وسنظل نتسائل أتُراها عجزت الارض التي مشت منها اول قافلة بشرية مشارقاً ومغارباً، ناشرة على الدنيا راياتها تهدي الناس للصراط المستقيم، البلاد التي تجسد فيها الصوت الى حرف والتي اورثت المجتمع الانساني الكتب المقدسة واطلعت العباقرة في الحكم والفلسفة والادب، أتعجز هذه الارض المباركة عن انجاب امثالهم في مضمار الفن. ونتساءل ايضاً لم لا يخلق عندنا رجل يضرب بازميله الصخر ويورث البشرية تمثالاً ينبض بالحياة مثل تمثال ابولون او فانيس دي ميلو؟ لم لا يوجد بيننا من يصور صورة واحدة تدنو بفنها من رسم عذراء رسمه بونتشلي او من رسم ملاك يضاهي ملاكاً واحداً من ملائكة رفائيل. سنظل نتساءل ونتمادى في التساؤل عن اكثر من ذلك فنقول: أليست بلادنا بلاد المحبة والسلام، وبلاد الروح التي تخاطب الذين يحللون الاحساس بالجمال بانهم ضالون في تحليلهم حين لا يصدرون في تحليلهم عن قاعدة: ان الحب اساس الاحساس بالجمال ومن لا يُحب العالم والكائنات لا يرى في الاشياء المنظورة شيئاً جميلاً.

يقولون لي كما يقولون لزملائي: انتم عائشون في ابراجكم العاجية تصورون ما تشاؤون ولا تشرحون للناس ما انتم تصورونه وكأنا بحاجة الى معرفة اسرار اللوحة الفنية. انا لهؤلاء شاكرون، غير اننا وان كنا نملك زمام الريشة ونضرب بها كما نشاء، ليس بوسعنا في كثير من الاحيان ان نجسد بالكلام احاسيسنا ومعلوماتنا لاننا ونحن عشاق الوحدة والصمت المتنسكون دون هوادة في محراب الخطوط والالوان والتركيب تسري بحواسنا هذه الاقانيم الثلاثة سريان الماء بين أثلام حقل ظامي. ولكن رأينا ان من الضرورة بمكان حباً بالجمال، وغيرة على مستقبلنا الفني كي لا يحتضر وهو لما يزل في طراوة نشأته، ان نتحدث من وقت الى آخر عن النواحي التكنيكية في اللوحة الفنية بمقدار ما لدينا من المعلومات والمعذرة فيما يبدو من نقص.

شاء هذا النادي الكريم ان يخصني بموضوع اتكلم فيه، الاربسك في اللوحة الفنية، وقبل ان أحدثكم عنه واطلعكم على ماهيته في بعض اللوحات الفنية اود ان اقول كلمة سريعة عن الفن الزخرفي وليس الاربسك الا شكلاً من اشكاله.

لم يكن العرب اول من اوجد الفن الزخرفي، بل هم اقتبسوا عناصره الاولى من امم الشرق الاقصى كالهند والصين، ومن المظنون أن الهنود كانوا يحوكون الانسجة المختلفة ويزخرفونها ويحملونها الى أسواق مصر واليونان، وكانت هذه الصناعة تثير الرغبة في الاطلاع على دقائقها، ومن المظنون ايضاً ان البطالسة اقاموا في الاسكندرية «مشاغل» من هذا الطراز كان يشرف عليها معلمون استقدموا من اليونان لهذه الغاية ثم انتشرت هذه الصناعة في الشرق، وعلى أثر امتداد الفتوحات العربية نشطت هذه الصناعة في كل مكان ظهر فيه للعرب اثر، وساعد على تميزهم بهذه الصناعة ما بين الخط العربي والصناعة الزخرفية من صلة وقرابة، وساعد كذلك انصرافهم عن تصوير الكائنات الادمية، والفن الزخرفي عند العرب هذه التصاوير الهندسية ذات الخطوط المتعددة، المستديرة، المكعبة، المنحنية، المنبسطة، المقوسة المشتبكة بعضها ببعض والتي لا نهاية لها لولا الاطار المفروض. وهي فن ذهني قائم بذاته يتناقض والاشكال الطبيعية المفهومة يعطي فكرة عن الحيرة وقلة الاستقرار، كانما وضعته يد حاولت به تحقيق المثل العليا التي كانت تضطرب بها افكار تلك العصور. ولقد بلغ العرب الذروة في فنهم الزخرفي ولا سيما حين تأثروا بحضارات الامم التي افتتحوا اراضيها، وغالوا في استعماله وان آثارهم في الاندلس لتدل على المدى الذي بلغوا اليه في ممارستهم هذا الفن. ولقد تأثر فنانو الفرنج بهذه الظاهرة الفنية التي اختص بها العرب ونسجوا على منوالها ولكن في اطار جاء اقرب الى الواقع واكثر اظهاراً للحقيقة.

والفن الزخرفي عندهم ينسب الى معتقدات دينية وهو يتسم بطابع البلاد التي ترعرعوا فيها. ان الانسان البدائي في طبيعته الساذجة يميل الى الزخرف فيزين لباسه وفراشه حتى وجهه فيعقف شاربيه لكي تلتقي خطوطها عند حاجبيه. الانسان الذي يقف طوال حياته امام مناظر بلاده ويرى الظلال القوية في اوديتها تنداح عند الاصيل وتتجنح مستطيلة وقت المغيب. الانسان الذي افاق ورأت عيناه الناقة الممددة الخطوط الزخرفية والنخلة المتعالية واغصانها متراخية مجذوبة الى الارض بشهوة البقاء. الانسان الذي تعشق الخيل الاصيلة ذات الخطوط المقوسة كما تعشق صيد الحيوان ذي

الشكل الزخرفي ، لا غرابة بان تكون هذه الفوارق لها اثرها العميق في التعبير، كلاماً كان امرسماً . كما ان الحرارة في التلوين تتأثر هي ايضاً بحالة المناخ . واليكم الآن كلمتي عن الاربسك في اللوحة .

يدخل الاربسك في اللوحة الفنية ويكثر استخدامه في المواضيع الدينية، وهو يجمل الخطوط ويظهرها بمظهر النبل والعظمة هو ميزان التأليف توزن فيه الاحجام، وغربال تغربل فيه افكار المؤلف فيسقط ما لا يصح ويثبت ما يناسب ويتقارب في التناسب وهو النظرة الحلوة عندما العين تشاهد الموضوع حيث لا يتوقف النظر عند حد يفصل خطاً عن آخر بل يدور حول الموضوع من نقطة معينة الى نقاط تتجاوب كالاصداء تنتقل بالاحجام رويداً رويداً كبيرها مع صغيرها الى ان تصل الى الغاية . الاربسك هو الاتصاق المحكم المقصود ، والمكيف قانون الطبيعة احياناً ان لم يكن غالباً والعمل الذي ترقد فيه عصارة التفكير الفني الجانح الى الحركة او الوثوب او الى معاني الحزن ، وهو ايضاً الرنة الجذابة التي لا تخدش الآذان ولا تنفر منها القلوب وهو من الحبيبين المتعانقين حركات التطويق واللباس المنزل على الاثنين . كل تركيب خال منه يعد مبتذلاً سقيماً لا جاذبية فيه ولا جمال

انترستلر

هذه لوحة للفنان انترستلر وهو من الفنانين المعاصرين ، تمثل هذه اللوحة القديس شابستان تعتني به امرأتان . ان الاربسك ظاهر فيها وهو يزيد التركيب جمالاً ويبعث المشاركة في عذاب هذا القديس . ما الذي حدا بالفنان ان ينزل بخطه هذه الهضبة ، هكذا



قد تقولون : انه شاهد ناحية من الطبيعة ورسمها كما هي ، كما تقولون عن هذا القسم من الاشجار الكثيفة انه أخذه عن الطبيعة ، وقد تقولون كذلك عن بقية الاحجام التي تتألف منها اللوحة .

ان مقتضيات التأليف تقوم في ان يخلق المؤلف احجاماً من عنده تأتلف مع الموضوع ، وجميع هذه الخطوط متشابكة بعضها ببعض بطريقة اربسكية . تأملوا اين هو الاربسك فيها هذا خط يبتدىء من جبهة المرأة ويمر متصلاً بالوجه ليكمل امتداده الى اعالي الرأس ثم ينحدر الى هنا فيقف هنيهة ليأخذ من بعيد فيهبط من علٍ الى هوة ، هذه الزاوية ضرورية لسببين : الاول كي لا يمل النظر مسافة هذا الخط المقوس ، والثاني ليقف النظر ملياً ويهبط متأثراً الى ان يطل على نبلتي قوس وضعتا في اسفل الصورة رمز القساوة البربرية ، لتحول التأثر الى الم ، والتقف حجماً جامداً بارداً .

لاحظوا معي جلسة المرأة الاولى تأملوا بابتداء الاربسك من رجلها يدور ثم يقف هنا ثم يحوّل عن الخطوط الخارجية يسعفه هذا الظل الى ان يستهدي الى مجراه الثابت ، ويمر بالركبة فالمعصم فالكتف ليلتقي بخطوط الاشجار ، ولكي لا يلعب

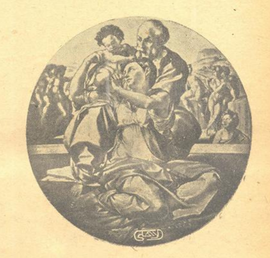
الفراغ دوراً هاماً في قلب اللوحة جاء الفنان بالغاية وملأ الفراغ بلونها القاتم فبانت زاوية قوية بين الطبيعة وجسم القديس لايقاف برهة على جسد القديس الذي يرتجف من كثرة الالم . ثم تأخذ مجرى آخر، وهو مع هذه الرقعة البيضاء ينساب الى الفخذ الى الرقعة الثانية التي يجلس عليها القديس الى ان يغيب في الارض .

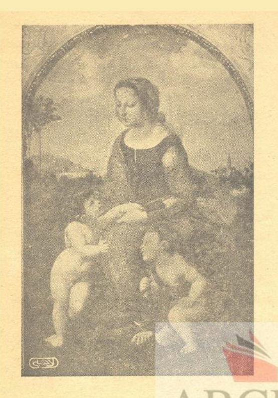
كل حجم من هذه الاحجام خاضع لنظام التأليف . هذا التأليف المتشابك المتلاحم بعضه ببعض كل حجم في محله منزل تنزيلًا اربسكياً فيه الروعة وفيه الجمال ، واني لا اجد خطاً بلا معنى في الخطوط الصغيرة بعيدة كانت ام قريبة ، فلنمش بنظرنا مع منديل المرأة الاولى ولنصعد بنظرتنا ايضاً الى نهايته فنجد في الطبيعة خطاً يلتحم به ويؤدي المعنى المقصود . وهذا هو الاربسك الارمونيك .

روبنس

وهذه اللوحة العظيمة للفنان روبنس . «نزول المسيح عن الصليب» نوع آخر من الاربسك ، الاربسك السنفونيك في كماله ورشاقته وايضاحه التام ، واية لوحة عند روبنس من هذا النوع اجمل واكمل من هذه اللوحة . ألوحة خطف بنات Lucippe ام اللوحة التي تمثله مع ايزابل برانت امرأته الاولى ؟ عديدة هي لوحات هذا الفنان وليس بينها ما اجده اروع من هذه . تأملوا كيف ترتاح العين في هذا المجموع المحكم وكيف هي الخطوط تتفرطح هنا وتتشرشر هناك بانتظام كلها خيال وكلها حقيقة . هذه دائرة تضم ثلاثة رؤوس وكانني بجسد المسيح الذي يقترب من خط الدائرة يحاول الابتعاد عن البشر بعد صلبه .

توفق المؤلف بموضوعه توفقاً ناتجاً عن درس عميق لا عن مجرد



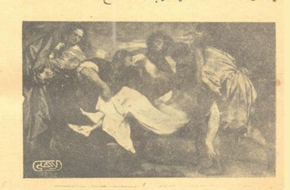


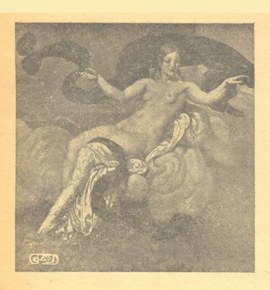
مصادفة ، فجميع اشكال الخطوط الزخرفية متوفرة بهذا الموضوع مستقيمة مقدسة مستديرة منتخبة لولبية . ما انبل وارشق هذا الخط الذي يبتدىء من رأس المسيح بشكل دائرة صغيرة وينتهي على الارض ، أليس في ذلك معنى قوياً يدل على طريق القبر ، ان لفي الاثواب وطياتها اشتراكاً مقصوداً في الموضوع ، اطراف الكفن بيد الشيخ هذا ، عبارة عن نهاية خط اربسك ليبتدىء كما ينتهي وينتهي كما يبتدىء ، وكما ان هذا الكفن يكمل خط ركبة السيد المسيح، هكذا هو خط الكفن عالياً يكمل خط يدي الشيخ الثاني . ولو تناسى الفنان وغيّر حجم طرف هذا الكفن لوقفت العين على فراغ غير مستحب ، لماذا حكم الفنان على وضع يد هذا الرجل بهذا الشكل الذي يعني الراحة والتأمل وفي مثل هذا المشهد لا يفكر الانسان بالراحة والتأمل . . ان فلسفة التأليف تخترق احياناً نظام الطبيعة لغاية قصوى ولو رُسم هذا الرجل يتعاون مع بقية المشتركين بالعمل لجُعلت يده هذه تتحرك في شكل آخر ولكن نظام التأليف يقضي بان تكون كما هي لسببين : الاول لسد قسم من مسافة الكفن والثاني للالتحام والانسجام مع بقية الخطوط الزخرفية

كما تبدو في غير موضع تجميلاً للموضوع ولو فرضنا انه استقبض على اسفل السلم بتصوير زخرفي آخر لانعدمت المعاكسة، ولما ظهر جمال الصورة اذ يجب ان يطبق هنا المثل القائل — الضد يظهر حسنه الضد .

ميكالنجلو

العائلة المقدسة لميكالنجلو . ترتكز هذه اللوحة على اربعة اشكال بيضاوية وتظهر فيها الخطوط قوية لانها تميل بصنعها الى الفن الزخرفي وهي مثال اعلى في التأليف الكلاسيكي والاربسكي . في نصف الحجم البيضاوى الاعلى رأس العذراء بشكل دائرة صغيرة ثم يدها مع كتف يوسف دائرة اكبر يبتدىء الاربسك من شعر رأس العذراء ويمر بخط الحد المخفي ويدور على زندهـا العاري ثم على زند يوسف بين الظلال والالوان على يد العذراء الثابتة ويهبط بفراغ الابعاد بشكل خط يكاد يكون مستقيماً ثم يمر على ثوب يوسف بشكل مقوس حتى رجله ويعلو بانحناء مع ثوب العذراء ولا ينتهي الا عند رجل العذراء ، ولكي لا يستمر اتجاهه موحداً عند هذه الركبة اوجد الفنان له اتجاهاً آخر سطحياً يتصل به من الارض . وهكذا يتم تكييف الطبيعة، وهل هناك اظهر من هذا الفن الزخرفي واوقع في النفس وابعد تأثيراً ، أليس كما قلت عن الاربسك انه النظرة الحلوة عندما العين تشاهد الموضوع حيث يتوقف النظر عند حد يفصل خطاً عن آخر ؟ وهل تشاهدون خطوطاً محدودة في هؤلاء الاشخاص الثلاثة ؟ اذا جلتم بنظركم الى هذا الخط المستقيم فلان هذا الخط هنا ، يُعد ميزان التأليف ولولاه لخال الناظر ان جميع الخطوط تتحرك مرتجفة جانحة الى الفوضى . تأملوا التقطع المتواصل الذي يبدو هنـا ويظهر جلياً في شكل هذا الزنار الساد للفراغ الكائن بين جسم الطفل ويد الام والمـار بخط رفيع كانه الحد الاخير ثم يبتدىء من هنا ، وهذا المقطع يزيد الارابسك جمالاً ، فيلتصق التصاقاً محكماً في الثوب ولقد وضع هذا الخط عمداً هنا





لكي لا يحصل التباعد، ولأن من الضروري الا يكون خط ، والبكم البرهان الاكبر في كيفية وضع هذا الكتاب بشكل يتماشى والخط الزخرفي .

ارايتم اجمل وانبل من هذه الخطوط الزخرفية التي تعبر عن حقيقة ملموسة تمتّ الى الكمال والجمال ان لم تكن الكمال كله والجمال كله ، أليست في مثل هذه اللوحة يتأله الانسان بعمله ويتبلور في الوهيته فيصبح من آلهة الزمان والمكان ؟ .

أحب هذة اللوحة لجمال تأليفها ولنبالة اربسكها ولقوة رسمها البالغ حد المعجزة واحب فيها الصنعة البسيطة . بين خطوط لوحة روبنس وهذه، فوارق جمة، في تلك خطوط تنم عن راحة بال وعن رنة فلس في جيب مؤلفهـا وما تلك الزركشات في اثواب العذارى واسترسال شعرهن سوى مظاهر اجتماعية لا تعرف الألم ، وملامح وجوههن الهادئة المطمئنة كأن لا مسيح ينزل عن صليب ولا دم يتفجر عن جسد . وبين خطوط هذه اللوحة المعبرة عن ألم اللـذة ولذة الالم ، من نفس حرة ابية متمردة ، ثائرة — أليس كل معاني الحرية — حريات العبادات متجسمة فيها . هلا رأيتم لوحة للعائلة المقدسة فيها مثل هذا الجولان في الخطوط .

رفايل

اتقن رفايل الاربسك كثيراً وخصوصاً من نوع الارمونيك، فيه الحساسية والحرارة القويتان ، والرشاقة الناعمة الشفافة . خلع رفايل على الروح الايطالية وشاحاً جميلاً استقرت تحته كأنه العدل والوحدة

والاستقرار في الامة الايطالية. ان النفس الايطالية، ولدة الاربسك بمعانيه الروحية العميقة.

هنا نموذج بسيط للغاية في هذه الصورة، وانتم عندما تقلبون كتاباً يضم لوحات رفايل العديدة تشاهدون دون شرح عظم الاربسك فيها بعد هذه المحاضرة. أعير انتباهكم الى هذا الخط المزركش الذي غايته ايصال خط المنديل بخط اليد كما أعير انتباهكم الى هذه الطية كيف تقترب من كاحل رجل الطفل لتؤدي الفكرة الجمالية في الخط الاربسكي، تخيله رفايل قصداً لهذه الغاية. ومما قلت في وصفي للاربسك، انة من الحبيبين المتعانقين حركات التطويق واللباس المنزل للاثنين:

تيسيان

اما تيسيان كما ترونه كان سهلاً يتعمد الاقتصاد بالزخرف. اول ما يلفت النظر في هذه اللوحة الخط النصفي الدائرة يبدأ بخط فقط من كتفي هذا الحامل بواسطة منديل طرفه يصل الى الارض يمر على يده ثم يغلف قسماً من الجسد وينتهي بخطوط عديدة كنبع تتقدم مياهه في حقل. ان للفضاء في اللوحة مع سمائه وغيومها علاقة بالموضوع وهنا يظهر قليلاً في الخط هذا لكي لا يقف النظر على حدة ويفصل اجزاء التركيب بعضها عن بعض.

اوبري

اميل اوبري فنان معاصر وله لوحات عديدة تمثل تأليفاً متزناً مسربلاً باربسك جذاب ولقد وددت ان اطلعكم على غير هذه اللوحة لتتمتعوا بجمال الاربسك فلم اتوفق لان ضيق الوقت حال دون ذلك وهذه اللوحة تعبر عن بعض الولع عنده بالاربسك المتطرف.

ان الموضوع يقتضي ذلك على ما اعتقد. وخطوط كهذه تنم عن فرح ومرح في قلب مؤلفها، تأملوا بجمال التركيب اذ انه اوجد





زخرفه هنا بالاتزان مع الزخرفة العالية وغطى قسماً من فخذ فنيس ورجلها هذه ليبتعد عن التشابه في الحجم ويوجد التنوع.

الاربسك عند الفنان كرنيخ – المدرسة الالمانية قديماً

هذه لوحة خالية من الاربسك وحقيرة في التركيب، واكبر الظن ان هذا الثوب الاحمر الذي تتكىء عليه هذه المرأة فيه بعض خطوط الاربسك هو من يد غير يده وكثيراً من اللوحات القديمة العهد، العهد البدائي وبعده بقليل تزيد عليهم الادارة الفنية المختصة بتصليح اللوحات بعض المزايا بطريقة تتجاوب مع طريقة عمل اللوحة. لا أقول شيئاً عن ضعف الرسم فنحن موضوعنا الاربسك والتأليف وفي لوحة كهذه تضم شخصاً او شخصين قل ما يتمكن الفنان من ايجاد خطوط اربسكية متنوعة ولو كان لصاحب هذه اللوحة معرفة في اوزان الخطوط التي تتألف منها اللوحة واذن موسيقية لما وضع هذه الشجرة قرب رجلها ولو انه ادرك معاني التأليف لما قسم لوحته قسمين. بتصويره هذه «العبى» بهذا الخط المستقيم. هذا خط مستقيم ايضاً وهذا آخر وهذا ثالث وهنا خط مستقيم وهذا آخر ايضاً فجاء التأليف عقيماً سقيماً بارداً جامداً لا جاذبية فيه ولا جمال.

فالازكز

لا قرابة فكر بين فالازكز وبين كرنيخ. فلو احس الجمال كرنيخ وعلم ان جسم المرأة اجمل ما في الكون من جمال جسدي. ولو انه ادرك ذلك ورسم جسماً جميلاً لامرأة جميلة ولم يكيفه بخطوط تتماشى معه مثل هذه الخطوط في هذه اللوحة كفالازكز لجاء الجمال عنده محبوساً ضمن نطاق المقاييس الكلاسيكية.

صليبا الدويهي

في سماء غاندي

بقلم عبد اللطيف شرارة

☆

لا سبيل الى تجاهل كارثة من الكوارث ، وإن كانت السبل متنوعة مبسوطة لتحملها، والصمود في وجهها ، وتلافي ما يمكن تلافيه من عواقبها بعد وقوعها، لأن « تجاهل » الكارثة كالجهل بها ، يؤدي دائماً الى نتائج هدامة تأتي على ما في الحياة من خير فلا تبقي له أثراً ، ثم يطفىء مصابيح الأمل في النفوس ، ذلك الامل الذي تخلقه المعرفة، وتهيء أسبابه وتجمع دواعيه بما توضح من ماضي الاحوال وتكشف من ضوى في صحراء المستقبل .

بيد أن ثمة من الكوارث ما لا قبل لأحد باحتمالها ، ولا وسيلة فيها لصبر ، ولا منفذ معها لعزاء ، وهي الى ذلك لا يجدي بها ألم ، ولا يخفف من وطأتها بكاء ، ولا يصد ظلامتها تعزز و كبرياء اذ تنحدر على النفوس من شاهق الشواهق طاغية ماحقة ساحقة، تجرف ما فيها من قوة ، وتمحو ما تحمل من غرور ، وتطفىء ما ينيرها من آمال ، حتى تتحول الى قطع صماء من ذهول واجم ! وتلك هي كارثة الشرق بمصرع غاندي !

تلقيت نبأ هذه الفاجعة فاضطرب النور بعيني كأني أفقت على الوجود الصاخب من حلم وادع هنيء ، وما كدت أتملى منها وأبصر الهول الذي تنطوي عليه حتى غرقت في حلم آخر ، لم استفق منه الا حين ذكرت كلمة غاندي : « لن يكون موتي الا تتمة لخطتي في الحياة » ! وها نحن أولاء نشهد موته ، فاذا هو كما قال قبل ان يموت بأعوام ، تتمة لخطته في الحياة ! لقد كان يعرف ، وهو حي ، ما سيكون من أمره ، حين يموت !

وليس بغريب على هذه النفس الصافية الصاحية ، وقد مزق صفاؤها الغيوم ، وانحسرت أمامها الحجب — ليس غريباً ان تدرك قبل زمن ، ما يحمل لها الزمن في أحشائه ، فانها بفضل هذا الادراك صمدت وقاومت ، واستمرت صامدة تقاوم ، حتى وقع ما كانت تنتظره ، فكان أن استقبلته ، وكأنها معه على ميعاد* .

لكن العبرة ليست في هذا الصحو النفسي الرائع ، ولا في هذا الصفاء الوضاء الذي يخلب الابصار ، وانما العبرة كل العبرة في ذلك الارتفاع الذي يفصل النـــاس عن غاندي حتى تزيغ معه بصائرهم في تطلعهم اليه ، فلا يملك المرء ، وهو يتأمل غاندي من صعيد هذا العصر أو هذه الحضارة ، الا أن يجد نفسه على الارض، ويجد غاندي في السماء ، في أسمى سماء !

ولكن العبرة ايضاً ، ليست في تلك الذروة الروحيـــة التي ارتفع اليها غاندي، فان مجرد وصوله اليها دليل ناهض على وجودها في جانب ، ودليل على إمكان الوصول اليها في الجانب الآخر ، ومتى تحقق عمل ما على يد انسان ، أمكن تحقيقه على يد انسان مثله . غير ان حقيقة العبرة قائمة في الطريق التي سلكها ، والاساليب التي اصطنعها، والمواهب التي توفرت له، والعوامل التي كانت تحيط به وتغذي همته بمقدار ما هي عليه همته من قابلية للأخذ والعطاء !

العبرة هي ، عند آخر تحليل ، في « شرقيـــة » غاندي ، في عقله ، في قلبه، في روحه كإنسان ، فهو مثال رائع للروح الشرقي وللعقل الشرقي وللقلب الشرقي مهما اختلفت الامكنة ، وتباعدت بالاجيال الازمنة ، وانك لن تجد في الغرب مثالاً لغاندي ، لانه ليس في الغرب مثال المسيح ولا لمحمد ولا لبوذا من قبلهما .

يطالعك أول ما يطالعك في سير هؤلاء الافذاذ الشرقيين ، ذلك اللون من « الوحدة » في تناول الشؤون الانسانية، و« الواقعية » في فهمها وتصريفها ، وصبها في قالب فريد من « الروحـــانية » فالسياسة في نظر هؤلاء ليست عملاً منفصلاً عن الاخلاق، والنضال

* عندما أصاب غاندي رصاص قاتله عفا عنه وطلب لأتباعه أن يسامحوه .

السياسي يشكل عندهم جزءاً من الواجب الديني ، ومشاكل الاجتماع لا تحل لديهم بالطرق القانونية والوسائل المادية، وانما يقوم حلها عن طريق الضمير والشعور ، فكانت جهودهم كلها تنصب على تقوية الضمير ، وتربية الشعور الانساني . . . وقد أثبتت الايام أنهم هم المصيبون ، وغيرهم مخطئون على رغم أنف كل مكابر وجهول . . .

غير ان غاندي يظل وحده مثلاً طريفاً مبتكراً لانتصار الروح على المادة ، وطرافته ظهرت ، وتظهر في مقاومته للاستعمار وإخضاعه المستعمرين ، فقد جاء في عصر تملكته وثنية العهود المظلمة ، واستحوذ عليه الجشع وامتلأ بغرور الادعياء الذين يحسبون « القوة » في المال والسلاح ، فأثخنوا الانسانية باعتداآتهم المنكرة ، وأقاموا الارض وأقعدوها بما نفثوا فيها من سم الأثرة وروح الاجرام ، حتى تحولت الى أتون يضطرم بالشياطين ، ثم أغاروا على الضعفاء يأكلون أموالهم بالباطل ، ويجرعونهم غصص العذاب ، ويذيقونهم مر البلاء ، ويدوسونهم بالاقدام لا لذنب اقترفوه أو جريرة جروها ، الا لانهم لا يملكون السلاح الذي يملكه أهل أوربا . . .

رأى غاندي هذه الحالة بعينيه ، وأجال فيها فكره ، وأحس آثارها في حياته وحياة قومه ، وذاق من شرها ما ذاق في جنوب افريقيا ، حتى تمرس بها جملة وتفصيلاً فلا تخفاه من أوضاعها خافية ، واذ ذاك عقد النية على المقاومة ، ودك الاستعمار والقائمين به ، ولو كان في ذلك موته والقضاء على حياته .

هذا ما عزم عليه بعد تفكير عميق وتدبر للحوادث وترو في تصفح وجوه الامور ، ولكنه وجد « الموقف » من الحراجة بحيث لا يستطيع ان ينازل أعداءه في ميدانهم ، فهو مقضي عليه بالخسران والاندحار اذا لجأ الى اسلحتهم واستنصر بجيوش كجيوشهم ، ووجد أن لديهم من الوسائل والامكانيات ما ليس في حوزته وما لا يحلم في احرازه ، ووجدهم ينتهجون في سياستهم وحربهم خططاً تنم عن غدر ودناءة لا يسمح له ضميره بانتهاجها . فكيف العمل ؟ كيف يردع اولئك الظالمين عن ظلمهم ويهديهم سواء السبيل ؟ .

— لقد ادرك غاندي منذ شرع نضاله السياسي ان الاستعمار ، في اي شكل كان ، نتيجة وليس مقدمة . هو نتيجة الخلال في الاخلاق عند المستعمِر والمستعمَر على السواء ، ولكن ويلاته الظاهرة ، المباشرة ، الواضحة ، السافرة ، تظهر عند الثاني وتختفي عند الاول ، وهي تظهر عند الضعيف لانه لا يملك ان يخفيها بينا يستطيع الاول ان يسترها ، ان يزوقها ، ان يلونها ، ان يصبغها بشتى الاصباغ ، الا ان « الرذيلة » هي الاساس في الحالين . هي « الطمع » في نفس المستعمِر ، وهي « الذلة » في نفس المستعمَر .

واذا كان الامر كذلك ، فان الواجب يقضي ان ننقذ الاثنين معاً لان كليهما ضائعان عن الحقيقة . يجب ان نستنقذ انكلترا والهند معاً ، اذ لا فرق بينهما في جوهر العلة . ولكن على الهند ان تقوم بعملية الانقاذ ، لانها لن تخسر شيئاً اذا انقذت نفسها من « رذائل » المدنية الحديثة وتمسكت بالدين الصحيح وعملت بقواعده، بل بالعكس ، اذا فعلت ذلك ، تربح نفسها ، وتنقذ انكلترا .

وهكذا . . تفتق هذا الدماغ عن حقيقة رائعة هي التوفيق بين الدين والوطنية والانسانية ومثّل في سيرته العامة هذا النمط من التوفيق ، فقد جاء في احدى مقالاته : « الوطنية والانسانية واحد في نظري . انا وطني لاني انسان . لست متعصباً . ولن اسيء الى انكلترة او الى المانيا لانفع الهند . ليس لروح التغلب موضع في خطة حياتي . ان الوطني يبعد عن الوطنية بقدر مايضعف حبه للانسانية » .

اما كيف يتم هذا التوفيق فذلك راجع الى قوة خاصة في النفس تحملها دائماً على ظلف الشهوات وترك المحرمات والاستئناس بالراحة الباطنة وتحقيق هذه الراحة بالسلبية المطلقة مع الرغبات أياً كان نوعها ووجهتها ، وهذا هو مبدأ « الاهمسا » اي اللاعنف ! .

اللاعنف هو الاسلوب الكافي والوحيد للتوفيق بين الدين والوطنية والانسانية ، لان كلاً من هذه الجوانب الثلاثة في حياة النفس البشرية ، ليس اكثر من عاطفة ، وهو عاطفة رقيقة منعشة للفرد ذاته في حالة الدين ، وللمواطنين في حالة الوطنية ، وللناس اجمعين في حالة الانسانية ، فاي مجال يبقى للعنف حين تتحقق احدى هذه العواطف بشكل متزن معقول ؟ ؟ .

وهنا يبلغ غاندي ذروة الفكر النير الصاحي ، فقد وجه اليه « آرثر هوليتشر » — وهو الماني — اعتراضاً قيماً ، قال له فيه : « ان مذهبك في الحياة ، يستلزم حالات واوضاعاً مساعدة خاصة من عنصرية ومناخية وحاجات ضرورية ، شأنه بذلك شأن النصرانية الاولى ، فلا يمكن انتشاره الا على رقعة محدودة من الارض ، عند فئة معينة من الناس ، والذين يتبعون تعاليمك ، يحتاجون الى مزايا ومؤهلات سابقة كالتي يملكها الرجل الهندي ، والمناخ الحار ، وطراز المعيشة في هذه المنطقة ، وما يواكب ذلك من مأكل ومشرب وملبس » ! .

أجابه غاندي قائلاً : « انا اؤمن بوحدة الطبيعة الانسانية ، واذا

كان الاوربيون يجدون صعوبات جمة في تطبيق مبدأ اللاعنف، فان هذه الصعوبات، لا تأتي من المناخ مؤكداً، انما ينقص اوربا رجل حي تتجسد فيه هذه العقيدة – رجل يحياها في ادق تفصيل من تفاصيلها».

قال هوليتشر : – «وكيف السبيل الى سحق الرأسمالية، وهي ينبوع الشرور كلها، اذا لم نأخذها بالعنف» ؟.

هنا، تأمل غاندي واجاب: – «ان ايماني بالدين يمنعني من قتل الافعى، ولكن هذا لا يعني انه يحرم علي ان اخاف الافعى حين ألتقيها في حقل او غيره، عليّ في هذه الحالة ان لا اتعرض لها، ان لا احتك بها، بل علي ان ابعث في نفسها الثقة أنني لا اريد بها السوء، واذ ذاك تقف عن ايذائي، ولا يخطر لها ان توذيني. فاذا شئنا تهديم الرأسمالية علينا ان لا نغير شكلها الزمني، ولكن نستطيع ان نحطم جوهرها ذاته، حين لا نبذل اي جهد، مهما ضؤل، في مقاومتها»*.

فانت ترى من خلال هذه المحاورة ان « موقف » غاندي، حتى في نضاله السياسي، لم يكن ناشئاً عن وضع اجتماعي خاص فرض عليه هذا اللون من الحياة والتفكير والاعتقاد، كما يذهب اليه الكثيرون ممن يثقل عليهم غاندي كمثال للعبقرية الانسانية السامية، وانما هناك .. وراء هذه الحياة والتصرفات، فكر جبار فيه من القوة والحرارة ما يذيب اشد المبادىء الاخرى صلابة وارتكازاً على الوقائع.

وقد اشار الاستاذ « واصف البارودي » في حديث له حول هذه النقطة من عبقرية غاندي، الى ناحية جديرة بالتأمل، وهي ان قوة الفكر عند غاندي جاءت نتيجة اخلاصه لامته ولوطنه، ولكل ما فيه خير امته ووطنه، وقرر ان احداً من ابناء هذه المعمورة لم يلتفت الى وثنية غاندي، «كذا» حين سرى نبأ مصرعه، فكان الناس يبكونه ويتألمون على فقده، لان اخلاصه حول تفكير العالم عن مذهبه الديني الى حقيقة الانسانية، فانسى البشر ما هم فيه من ضعف وتعصب.

على ان هذا الاخلاص الذي يسمو الى ارقى مراتب الفكر هو في ذاته، في صميم منطقه، ليس الا « فكراً محققاً » متجسداً في كائن حي هو غاندي. ولكي يتجسد الفكر ويتحقق يحتاج الى جملة من الفضائل والعادات، لا يتحقق بدونها.

والشجاعة اولى هذه الفضائل، وقد اخطأ من ظن ان «الاهمسا» جبن وتهرب من الكفاح، فقد كان غاندي يصرح دائماً: « حيث لا اختيار الا بين جبن وعنف فانا ادعو الى العنف ... انا اربي في الرجل الشجاعة المطمئنة الى ان يموت دون ان يَقتل ! ». والدقة في شجاعة غاندي، هي انها ليست للهجوم، وانما للدفاع، والفرق بين الشجاعتين، ناشىء عن الفرق بين موقف المهاجم كمعتد او مغتصب – وهذه ليست شجاعة في نظر غاندي بل نذالة وجبن – وموقف المدافع الذي يحمل النفس على ما تكره اتقاء للاذى المحتمل، وتلك هي الشجاعة الحقيقية.

والى جانب الشجاعة يقوم « الشمول » في النظر للاشياء والحوادث والقضايا الانسانية، وانك لواجد هذا الشمول عند غاندي على نحو من الانسجام والتناغم، يندر ان تجده عند غيره من اقطاب المناضلين السياسيين، وحتى عند المفكرين الذين يعنون بالنظر الصرف، فهو اذ يريد استقلال الهند، يريد في الوقت ذاته تحريرها من الطائفية، من التعصب القومي، من الطبقية وتزاحم الطبقات، من الجهل، من تحكم الرجال بالنساء، ولا فرق عنده في كراهية العبودية بين ان تكون سياسية او اجتماعية او شهوانية نفسية.

لذلك كانت دعوته الى رفع مستوى المرأة الهندية تلاقي آذاناً صاغية حتى عند اولئك الرجعيين من بني قومه، ولم يكن بحاجة الى التشديد في هذا الجانب، فالذي يبلغ به احترام الكائن الحي حداً يعبد معه البقرة، اولى له فأولى ان يحترم المرأة فلا يجعل منها أداة لحيوانيته الضيقة.

ولذلك كانت جهوده في توحيد الطوائف الهندية قوية هائلة لا ينقصها الحد ولا الالم، وكانت محاربته لتناحر الطبقات عنيفة بالغة اشدها، حتى انه ألقى بنفسه في طبقة « الباريا » اي المنبوذين ليوقظ فيهم معنى إنسانيتهم ويشد من عزمهم في مغالبة العبوديات التي يرزحون تحتها، وليظهر لاتباعه ممن يؤمنون به انه لا فرق بين غاندي «المهاتما» القديس، الزعيم، واي انسان آخر، حتى ولو كان من المنبوذين.

وهو في نضاله السياسي دعا الى مقاومة العبودية الاقتصادية، ومقاومة العبودية الثقافية، فلم يكن ليرضى ان ترتبط اقتصاديات الهند بانكلترا، فقرر مقاطعة البضائع الاجنبية وايقظ الحماسة في قلوب مواطنيه والاعتماد على انفسهم في نسج ما يلبسون وانتاج ما يحتاجون اليه، ولم يرض كذلك ان يكون « جهاز التربية » في الهند مأخوذاً عن اوربا، فأنشأ جهازاً تربوياً ينسجم مع تراث الهند ويوقظ تاريخها في نفوس ابنائها، ويطلق، في نفس الوقت، عقل الهندي من كل ما يكبله في النظر للثقافات.

ذلك هو غاندي : فكرة واضحة شاملة تحققت فيه لما يحمل من شجاعة وطهارة ومحبة وبعد نظر، وما هو في مماته الا تلك الفكرة التي عاشها واوضحها.

عبد اللطيف شرارة

* Visite à Gandhi par Arthur Holitscher . La Revue des Vivants Février 1930

قبض ابو عباس بيده الضخمة على عمامته البيضاء ، وشدها على هامته المحلوقة حانقاً، ثم امسك لحيته الخصبة بيمينه غاضباً وصرف باسنانه متمنياً لو لم تكن هنالك عمامة ولا لحية .

تلك لحظة ودّ فيها أبو عباس لو انه لم يكن من اجـاويد الدروز بل بقي من جهّالهم ، اذاً لبصق في تلك اللحة شتيمة تحرق الجو ثم تنقض الى الارض فتخدد فيها هوة اكبر من « وادي التيم » ولكنه كان من الاجاويد، وعلى الاجاويد حرمت الشتائم فراح يحدق من جديد خلال الدرب الملتوية التي تصل « الحسونية » احدى ضياع « الشوف » في لبنان ، ببراريها . ولما يئس من رؤية احد على تلك الطريق ثارت العاصفة في عينيه من جديد وصـاح « الله يحقك يا مجيد »ومجيد هذا الذي تمنى له ابو عباس المحق ، هو صغير ولدي ابي عباس ، وكان معه على ان يوافيه ، تحت تلك الزيتونة الكبرى بعد ظهر ذلك اليوم حين تتمدد ظلال الاشجار شرقاً وتمشي في طول المسّاس . ذلك في لغة المتفرنجين ، الذين لا يعرفون ان المساس هو العصا الطويلة التي تساق بها الثيران ، حوالي الساعة الرابعة بعد الظهر

وحقاً ان ابا عباس أُيعذر ان شتم فلقد ترك بيته حوالي نصف الليل واوصى ابنه مجيداً ان يلاقيه بالزوادة الى حيث يكون في انتظاره هناك تحت زيتونة « ام السبعة » في « حقل الحمام » حين تستطيل الظلال نحو الشرق . وها هو الاب يستعرض بمرارة حوادث النهار منذ ان وثب من منزله في نصف الليل ومشى منحدراً في العتمة ساعة طويلة بازاء النهر ، وكمن هناك للص لم يظهر . وحين اطل الفجر ترك مكمنه وراح يذرع الحقول ، فهو ناطور الضيعة وعليه حراسة املاكها .

وما زال يصعد وينزل ويمشي ولا شيء في الحقول يؤكل اذ ان الفصل خريف فلا عنب ولا تين وهـا هو الآن تحت شجرة الزيتون ينتظر « مجيداً » والزوادة . وليس من اثر يلوح لمجيد او للزوادة ، وقد برّح به الجوع .

اضف الى ذلك ان النـاطور في تجواله تحرى الصيـد وكان من الغريب انه لم يصطد الا حية وبومة فاستعاذ ابو عبـاس من شر ذلك النهار .

وابو عباس، الناطور، هو في حيرة العمر بين شدة الفتوة وهدوء الشيخوخة ، وهو كذلك في تقواه ، لم تستقم بعد جودته ، ولم تستقر ، اذ لم يمض عليه في زهده الا شهور، منذ ان خلع الطربوش وهجر السيكارة والعرق، واطلق لحيته وحلق شعر رأسه، وتعمم بلفة بيضاء . فهو اذاً حين ينفعل ترتفع يده او تطفر الشتيمة على لسانه ، فتكبح جوحه رصانة الاجاويد الذين صار في صفهم فلا تقفز الشتيمة ولا تنطلق الضربة ، ولا يلبث ان يرجـع الى نفسه يؤنبها على حمقها وكفرها .

لذلك رجع الى فيء تلك الزيتونة يستميح الله عفواً عـن سفاهته ويوبخ نفسه بقوله « يا لك من نفس لعينة كافرة جشعة جوع نهـار لا تصبرين » .

ثم حمدل وبسمل وراح يترنـح باحدى الصلوات التي حفظهـا حديثاً بعد ان هجر جهالته .

وكان من سوء حظ الناطور انه لم يكد يستتم له تذويب غضبه في نشوة تقواه ، حتى سمع وقع حوافر بطيئة ضعيفة فالتفت وتعثر نظره برؤية اذنين هائلتين بينهما سحنة المرابي حمدان بك يعلو بهيمة يسميها حصاناً ، ويعرف بنو « الحسونية » انها كديش ، ولو جاز للحيوانات ان تصعد الى السماء لدخلها ذلك الكديش الذي كفّر بجوعه وجهاده عن كل ما يمكن لانسان او حيوان ان يقترفه من الذنوب .

جوع ، وبومة ، وحية — والآن حمدان بك . ذلك كثير حتى عـلى الذي همه تذليل نفسه . فحمدان بك اشتهر امره في « الحسونية » وجوارها ، فهو الذي يرهق الارامل بالفوائد ويحتال على استملاك الاراضي بابخس الاثمان . حمدان بك فيه كل صفات الابالسة التي ينفر منها ابو عبـاس .



بقلم سعيد تقي الدين

وبوده كذلك لو فرّ من البك المرابي، ولو لم يتواقف نظراهما ، فلم يعد الهرب من اللياقة . ان للتأدب عند دروز الشوف اكبر شأن ، فكم موقف ضحى به الواحد منهم بعواطفه واحياناً بمصالحه اطاعة للتهذيب والكياسة والتأدب . وكم

طعنة قاتلة اعتاضوا عنها بكلمات معسولة .

اما حمدان بك فحين ابصر الناطور غض من نظره لمحة ، شأن من تبغته رؤية من يفضله؛ ولكنه ضبط اعصابه وحدّق، وذكر تفوقه على ابي عباس، فهذا من العامة وحمدان بك من البكوات الذين هم حواجب وقد خلق الله الحاجب قوساً فوق العين يعلوها الى الابد .

كذلك كان البك في ذلك اليوم فوّار الفرح ، فهو راجع من مزرعة « عين البستان » التي تسلمها امس بعد ان نفذ مأمور الحجز بنود الرهن الواضحة الجائرة ، كذلك رأى ان من اللياقة ان يجامل الناطور ، فلقد عرف عنه وعن ولديه انهم من ذوي البأس الذين يأكلون رأس الحية غير مطبوخ وبدون ملح . وهم كذلك ذوو مروءة : كم جرفوا الثلج عن سطح البك ومن امام بوابته، فلماذا لا يتودد لابي عبـاس بحديث بضع دقائق ، لا سيما وان قرب الناطور بساطاً من العشب ليس من العاران يرعى فيه الحصان فيوفر عن البك شيئاً من الشعير فاتن رعى الحصان ذلك العشب في حضرة الناطور لما عد الامر سرقة ولا امراً شائناً .

وحين بدأ البك يترجل ، نهض ابو عباس وحياه « مساء الخير حمدان بك » واذ رد البك التحية ، انهال عليه الناطور بسيل من السلام الشوفي « كيف حال جنابك ؟ سرتنا رؤية جنابك . اطال الله عمر جنابك » . وكأن البك اراد استئذان النـاطور باطلاق حصانه ليرعى بقعة العشب فقال « حشيش اخضر جميل . ان بطن هذا الحصان مطحنة . » فاجاب ابو عباس « سبحان من خلق البهائم ثم انبت لها الاعشاب » .

وقد يحسب الغريب عن دروز الشوف في لبنان ان النـاطور اظهر للبك الخضوع ، ولكنه في حقيقة الامر اظهـر له المقت والاحتقار . فلقد حياه بِ « مسـاء الخير حمدان بك ». ولم يقل « سيدنا » حمدان بك . وسأله « كيف حال جنابك ؟ » ولو تعمد التوقير لسأل « كيف حال الجنـاب ؟ » . وحين استأذنه برعي الحصان لم يظفر منه بالتأهيل بل بجواب حيادي . فلو ان البك كان من البكوات الاصيلين المحبوبين لقفز الناطور الى ملاقاته ومساعدته عـلى الترجل ، ولاسرع يخبره ان الديار سطعت حين ظهر . وان حصانه ليرعى في قلب ابي عباس ويشرب من دموعه ودمه .

يقول لك الاغراب الذين يجهلون الشوف، من لبنان، ان الدروز مسرفون في المجاملة والتبجيل، ولكن هؤلاء الاغراب لم ينفذوا الى اسرار التأدب الدرزي . فلرب دعوة الى طعام هي، لمن يفهمها ، طرد عن المائدة ، ولرب كلمة اعجاب هي لمن ارهف حسه شتيمة مقذعة .

ليس في الدنيا من حباه الله رشاقة تبطين الكلام ، وحلاوة تضمين الحديث ، وجمال الافصاح باسلوب يهمي على الاذن ولا يخمشها ، مثل جماعة الدروز .

وتطلع ابو عباس بحوافر الكديش ففهم لماذا هو يبطىء في مشيته . فأمسك بعصا « نوطرته » وراح يضرب بها الارض بعنف حانقاً وقال ، مصوباً بعينيه الى السماء « قاسم البيطار مشغول بفلاحة اراضيه هذه الايام » . فكأنما قال للبيك « يا ويلك من الله مـا ابخلك واقسى قلبك . لماذا لا تبيطر هذه البهيمة المسكينة ؟ ».

ثم دار الحديث وقفز من موضوع الى آخر، وفهم البك خلاله ان ابا عباس منتظر الزوادة . فدارت دواليب عقل المرابي في عملية حسابية — على ما سيأكله الحصان ، وما ينتظره من الناطور ابي عباس وولديه ايام الثلج ، فجمع وضرب وطرح، وحين أمن الربح مد يده الى خرج الحصـان وسحب رغيفين بينهما الزيتون واللبن وقرصاكبة، ودفع بها كلها الى الناطور راجياً اليه ان يأكل. واشتبك الاثنان في نضال كلامي خفي . ذاك يدعو وهذا يعتذر ، حتى انتهى الامر بخيبة البك فتكلم متألماً .

« انت لا تأكل من زادي ، لانه في معتقدك، كما هو في حسبان كل الاجاويد ، حرام . انتم تعتقدون ان الربا حرام » . فاجاب ابو عباس متململاً .

« ابعدنا الله عن الحرام . نفسي لا تهفو الآن الى الطعام » .

وابتسم متأدباً . فارجع البك الزوادة الى الخرج ، واحكم ايثاقه على الكديش وبينما هو يهمّ بالانصراف اكتشف مستغرباً ان ذلك الحيوان لم يقضم شيئاً من العشب الاخضر ، على ما به من الجوع . وتطلع نحو الناطور متسائلاً فابتسم الناطور ، وهز رأسه قائلاً . « سبحان من ادخل العفة حتى على نفوس البهائم . الظاهر ان هذا العشب قد داسه حيوان ، فلن يأكله حيوان » .

وفيما الاثنان يحكمان سرج الكديش ولجامه ، ذعر البك ، واشرأب صدر ابي عبـاس ، اذ دوى الجو بانفجار خرطوشة ، وأزّت « رصاصة موزر » وتفجّر حداء حربي على مقربة منهما .

وظهر خمسة من شبان القرية يتوسطهم حسن نصرالله وفي يده بارودة موزر يحدون ويتحدون، باصوات هدارة عميقة متوثبة فخمة :

صوت المروّة، نصاح، نفزع للندا سربة بني معروف تحكي فعالها
حنا بيوم الكون نسكر بالدما خل خسيس النفس يشرب مالها

واقترب الفتيان الخمسة وكانوا حفـاة مشمرين عن السوق « قنابيزهم » ولبثوا يحدون ، فلما دنوا من البك والناطور ألفوا

حلقة حول الناطور وراح حسن يهز بارودته فوق رأس ابي عباس ويصيح «صحائفك يا عمي ابا عباس» ومضى رفاقه الاربعة يرددون هذا القول مزغردين وقبضاتهم مرفوعة فوق رأس عمهم الناطور، فأبو عباس هو حبيب فتيان القرية ومثلهم الاعلى في البطولة والمروءة، فلا عجب ان تغنوا به .

واستمع العم الى حكاياتهم فلقد كان الخمسة قافلين من الساحل حيث اشترى حسن نصرالله بارودة موزر ببضع ذهبيات ادّخر بعضها من اجرته اذ كان يشتغل في الصيف مساعداً لبناء، وبعضها مما ادخرته امه واوهمها انه ذاهب ليشتري مؤونة البيت . وها هم الخمسة يعودون الى الضيعة ظافرين فرحين وها هي البارودة تلمع بين اكفهم، انظر الى فولاذها الصقيل، وخشبها الصلب الخفيف، واعجب بآليتها كيف هي تبلع الخرطوشة وتلفظها، واسمع اغناء رصاصها، وهاك جنادها تزنر به او شده الى كتفك، وانظر الى الدنيا كيف صارت بهية، وكيف تشرئب الرجولة في صدرك .

واسرّ حسن نصرالله في اذن عمه ابي عباس ان هذا الحداء الذي سمعه الآن هو من ارتجال رفيقه قاسم حمود استوحاه ... وغمز الى ناحية حمدان بك .

اما ابو عباس فقد ندت عيناه واسرع تنفسه، وشعر بكتلة يغص بها حلقومه، ولكنه تكلف العبوس والسآمة وخاطب حسن موبخاً «كنت في غنى عن البارودة . ليتك اشتريت مؤونة البيت» .

اذ ذاك ايقن صاحب البارودة ان عمه ابا عباس راض عن شرائه البارودة بل معجب بما فعل، وان امه، ان ثارت ثائرتها على حسن، فأبو عباس كفيل ان يهدّئ روعها . فتنادى برفاقه الاربعة واصطفوا من جديد، وعادوا الى الحداء ميممين «الحسونية» شبه سرية من جيش ظافر، عائدة الى قاعدتها .

وتطلع الناطور الى حمدان بك فاذا به قد تداعى على نفسه وتهدّم، كشحاذ كفيف صدمته حافلة القطار ورمته في قناة الطريق . فرق قلب ابي عباس، واراد ان يؤاسي رفيقه فقال: «بحق سمّوا عائلة نصرالله بيت ابي هزاز . انظر الى حسن نصرالله كيف يمشي وصدره بارز ورأسه يرتجف كأنه حمامة هزازة . الله يحقه . ملأ الدنيا زعيقاً . بخاطرك يا بك» .

وحين أدار ابو عباس ظهره وصلت اذنيه ابتسامة كادت تمزق شفتيه . وتطلع ثانية نحو الفتيان فرآهم حفاة، خفافاً، صلاباً، خشناً، تهزهم نخوة الحياة يحملون السلاح، ويتغنون باناشيد القتال، وينظمون الحداء — كذا يريد ابو عباس ان يرى صبيان الدروز .

الدنيا بألف خير . ولسبب لا يدرك سره شد الناطور على عصاه بقبضتيه وقفز في الهواء .

اما البك فقد جرّ رجليه، وجر خلفه كديشه . ولقد اعتاد حمدان بك شيئاً من اعراض الناس ولكنه لم يتلقّ الازدراء الى هذا الحد، اذ يرفض زاده ولا يرعى العشب حصانه، ثم يسمع الكلام المضمن عن الحسيس، وشرب المال .

وسار البك نحو الضيعة، خلف الشبان، يفصله عنهم نحو من مئتي خطوة، وحداؤهم في اذنيه، وفوقه سماء الله التي لا حد لها وحواليه حقول الضيعة، التي لا يدرك الطرف آخرها، فاحس بكره المخلوقات، والحقارة في نفسه ولاول مرة في حياته استشعر الضعف والوحدة .

وحين وصل الى ظاهر الضيعة، حيث البيادر، والسنديانة الكبرى، رأى شبان القرية حول حسن نصرالله، يقلبون البارودة ويتصايحون ضاحكين، والاولاد قد حملوا العصي، يحذون مقلدين الشبان، وهنا، وهناك، تجمعت النساء حلقات، وكان المرح والحماسة يسود الجو، وكل يتحدث عن الحدث العظيم وبارودة ابن نصرالله . وفي عنفوان هذا الصخب، اطلّت ام حسن، فلما قيل لها ان ابنها رجع ببارودة ايقنت ان الذهبيات التي اعطته اياها للمؤونة، قد دفنت في البارودة . وتراءت لها كواراتها الخاوية فحل بها الرعب . غير ان رؤية اعدائها شدّد حيلها، واعداؤها هم بنو عم ابنها الاربعة وكانوا بين الجمع، فصاحت باعلى صوتها «الحمد لله على هذه النعمة . ابني يتطلب زاد الشرف قبل زاد البطن . ابني عنده بارودة وهو ليس مثل بعض قليلي «الشيمة» الذين امتلأت كواراتهم وليس عندهم قطعة سلاح» . صاحت ام حسن بهذا القول متحدّية، موقنة ان ابنها، بدون بارودة، في وسعه البطش باعدائه، ابناء عمه الاربعة، اولئك قليلي الشيمة . بل هي تمنت لو أن احدهم فتح فمه بجواب، اذاً لوقعت الواقعة على تلك البيادر . ولكن افواه الاعداء بقيت مقفلة .

وزاد الهرج والمرج، وتعالى الحداء من جديد، وانطلق الرصاص هنا وهناك . اما البك حمدان فقد تسلل على طرف البيادر، هو وكديشه لم يره احد، ولم يلاحظه احد، فكان في صمته وبطء مشيته كأنه وكديشه، حيال تلك البشرية الفوارة، قناة اقذاء تنساب حذاء نهر متدافع نضر صخاب .

واستمر البك والكديش في السير حتى لاح لحمدان بك بيته فلمح نوراً ضئيلاً في احدى غرفه فشتم غاضباً «لعن الله تلك العجوز تهدر الزيت في سراج تضيئه باكراً والليلة هذه قمراء» . وهاج به

الحنق فتسارع بخطواته واوسعها ، واسرع الكديش خلفه حالماً بالراحة ، ان لم يكن حالماً بالشعير فلما البيت حين اطل القمر .

اما الكديش فقد ادار رأسه بمعلفه الفارغ وغسل القمر بلسانه وشفتيه ثم حمحم ناحباً واضطجع يائساً على عادته واطبق عينيه يرى قبواً ملؤه الشعير في حقل مخضر عشبه لم تدسه بهيمة .

واما البك فحين استوت قدماه على عتبة منزله زالت عنه المسكنة، وشعر بعز السيادة في بيت يملكه، وخادمة يتأمر عليها وصندوق حديد عال عريض فيه من الوثائق والكمبيالات والذهب والحلي ما يفك الاسرى، ويشتري القصور . وقديماً كان ولا يزال المنزل لمن يملكه رمز الامان والسلطة والطمأنينة . لعل اجدادنا منذ آلاف السنين، كانوا اذا دخلوا كهوفهم يشعرون بزهو السيادة التي شعر بها حمدان بك حين دخل منزله .

ولقد زاد في اعتزازه وتنفجه رؤيته لجمع ينتظره فقد كانت هناك ام فهد شحرور من الضيعة المجاورة « المنيدبة » معها رجال ثلاثة من اقاربها ، لاحظ من حركاتهم انهم قلقون مسلحون .

وكان من الطبيعي ان ينغمس الجميع في السلام ومبادلة التحيات والمجاملة ، وطفق البك يصيح بخادمته « ام احمد » ان تأتي بالاكل للضيوف . وأصر الضيوف انهم لا يقوون على قبول ضيافته الحاتمية لضرورة رجوعهم الى ضيعتهم . وبعد مد وجزر من دعوات واعتذارات ، وكل موقن ان الدعوة مزيفة وكذلك الاعذار ، هدأت الضجة وبدأت ام فهد تشرح الغرض من زيارتها .

لا يخفى على جناب البك ان غلاء الاسعار ، وضيق المرتزق ، وبعد وحيدها فهد عنها جعلها في حاجة ماسة الى المال ومن لها برجل شريف ترتجيه الا جناب حمدان بك الذي فضله غمر الناس، وكذلك من قبله كان ابوه . ورحم الله زوجة البك فقد كانت تحنو على أم فهد، ويا وحشة بيت البك كيف خلا من ام واولاد ألا ألهم الله بيكها ان يتزوج فيعمر المنزل بالبنين . وان ام فهد لواثقة ان البك يأتمنها على خمس ذهبيات، وهو المحسن الذي وسع قلبه الكل مروءة، ولكن ام فهد تملك لؤلؤة ارسلها لها ابنها من بلاد « تشيلي » فهل للبك ان يحتفظ باللؤلؤة في الصندوق الحديدي فيضمن بذلك سلامتها، وبعد سنة ، ان ابقى الله ام فهد في قيد الحياة فهي تعود الى البك بالذهبيات مع فائدتها وتسترد منه الوديعة .

قالت هذا واعطته رسالة ابنها فهد ليقرأها ، وبها يخبرها عما يكنه فؤاده من محبة واحترام ، ويشرح لها انه مرسل لها لؤلؤة هدية وهي جوهرة لم يملك مثلها الملوك والسلاطين ، وانه خاطر في سبيل الحصول عليها بحياته وفتك بالعبيد وبطش بالاسود .

واذ ابتدأت ام فهد بفك صرة ربطتها الى زندها تحرك رفاقها الثلاثة وادارو فيما حولهم نظرات قلقة ، وداعب احدهم خنجره واحكم وضع مسدسه في زناره .

ولو لم يكن حمدان بك قد الف الصمت وحذق ضبط عواطفه لتفجر بقهقهة ! فهد شحرور يرسل لآلئ؟! ذلك السكير الخليع المائم الكذاب الذي اغترب السنوات ولم يرسل لامه بوليصة واحدة! لايسر على البك ان يؤمن بان في استطاعته التقاط شعاع القمر وخزنه بعميل من ان يصدق ان تلك اللؤلؤة هي غير حجر مزيف .

وفيما كان المرابي يفكر ، صارت اللؤلؤة في يد المرأة فحملتها بقبضة مرتجفة وسألت البك بفخر « كم تساوي » ؟

كم تساوي ؟! تساوي نهقة حمار في « وادي القرن » في ليلة معتمة مثلجة . تساوي ثقباً في ريال مزيف . تساوي عطسة برغشة في انفها زكام، تساوي بصقة سمكة في بحر مجهول الموقع .

وادنت ام فهد اللؤلؤة من السراج فالقى حمدان بك عليها نظرة سريعة حققت تشاؤمه فقد كانت اللؤلؤة في حجم الزعرورة مكتملة الاستدارة ، موحدة روعة اللون الازرق ، شأن كل لؤلؤة مزيفة غير انه وقد عركته الحياة وسخت عليه بتجاربها، لم يسرع الى اصدار الحكم البات بمجرد التخمين فاستأذن ام فهد بان يفحص اللؤلؤة في الغرفة الداخلية حيث العقاقير ، والمحك ، والمجهر . واذ اذنت له بوضع اللؤلؤة في كفه ، دخل بها الى الغرفة الخلفية . فاقفل النافذة واشعل الشمعة ، وازاح المرآة الكبرى من امام الصندوق الحديدي وفتح الصندوق ، واستل المجهر والعقاقير، وفي لمحة جاء الدليل يثبت تخمينه بان تلك اللؤلؤة كانت رخاماً خفيف الوزن مطلياً . الله يمحقك يا فهد شحرور !

وفيما هو يهيىء جميل الكلام يرفض به طلب ام فهد طن في اذنه لحن الحداء الذي سمعه منذ ساعة فحسب نفسه شبه حالم، ولكن الحداء صار يضخم ويقترب فاسرعت الحياة في عروقه وفتح النافذة فتدفق منها نسيم عصف بالشمعة فاطفأها ، وغمر الغرفة نور فاضاءها بشبه شعلة هيولية ، وكانت اذ ذاك كوكبة من فتيات الضيعة بلغت من الطريق ، بوابة بيت البك ، وقد اصبح الحداء على اشده ، وانطلقت الرصاصات ، فلم يشعر حمدان الا وهو على غير علم منه ، قد شد قبضته على اللؤلؤة ورفعها الى فوق رأسه وصاح «صحائفك ياحمدان بك» وراح يترنح طرباً على انغام الحداء ويرقص في الغرفة، شأن الفتيان الذين هم على مقربة منه في الطريق .

ويتغنى «.. بني معروف .. صوت المروة .. خل خسيس».

وفيما هو يدور على نفسه واجه المرآة فرأى على وجهه ظل الحداء الذي يسمعه، فاستحالت سحنته الى طلعة بهية في صفاء محيّا الناطور ابي عباس، وابرقت عيناه بالبأس كميني حسن نصرالله، وجس اعلى ذراعه فلمس جدائل من العضلات صلبة لم تكن هناك من قبل، وشعر كأن انوار القمر التي احتاطته قد كشفت حوله واشرأبت فاحتملته فهو يطفو عليها مهتزة تتعالى.

هذه الكرة التي نحن عليها قلبها مائع حار تحتاطه طبقات من تراب وصخور، وفي بعض الاماكن جليد وثلوج، غير انها ترتجف احياناً في هزة تشقق قشرتها، فيندفع الى الخارج ما في قلبها من حرارة سيالة فتشب بركاناً ثواراً.

ولقد نما حول قلب حمدان بك طبقات من صخور صلبة وتراب قذر، وجليد صقيع، غير انه حين اشترك في الحداء مع فتيان قومه، ورقص على ترنح انغامهم زلزلت نفسه زلزالها فهو حين رجع الى ام فهد وضع في يدها خمس ذهبيات ووثيقة تعلن « وصلني . لؤلؤة اصيلة . . ارجعها حين الطلب . . بدون فائض » .

بدون فائض ؟! ومن حمدان بك ؟ !

— اعطاك ربي قوة الف اسد يا سيدنا البك، وجعل مالك اكثر عداً من نجوم هذه الليلة، ولينعم الله عليك بعروس فاضلة تملأ هذا البيت صبياناً، وليمس عدوك اذل من خرقة بلعها كلب جرب ثم بصقها، ولتعش ابداً ما دام الحي لائقاً بالحياة.

هذا وعشرات من منتخب الدعاء اسمعته ام فهد لحمدان بك، ثم لملمت نفسها ورفاقها وانصرفوا عائدين الى قريتهم.

واقتربت حينئذ من البك، على عادتها، خادمته «ام احمد» بإناء استوعب عشاء الكديش اذ تبعثرت في اسفله حبات شعير كان الواضح ان البك يدري انها لا تكفي غذاء لجسد حصان جهد النهار كله، ولعل صاحب ذلك الجواد اراد بتلك الحبات من الشعير تقوية معنويات حصانه.

وشد ما كانت دهشة الخادمة حين لم يصرفها سيدها مصادقاً على كمية الشعير بهزة رأس شانه كل مساء، بل خاطبها بلهجة ناعمة « املئي الوعاء كله شعيراً للحصان » . ثم زاد « وافرشي الطراحة والمسند قرب المعلف » . واذ غابت الخادمة، مشى البك الى غرفته ففتح خزانة ظهرت في اعلاها تنكة صغيرة ملؤها اعقاب السواكير التي كان يلتقطها بعد انصراف زواره فافرغ التنكة على الارض واخذ يدوس اعقاب السواكير متمتماً شتائم . ثم فتح احد جوارير الخزانة وانتزع منها سيكاراً فاخراً وخطا الى حيث الحصان يزدرد الشعير غير مصدق شفتيه ولسانه، واقتعد تلك الطراحة والمسند،

ولم تمض هنيهات حتى جاءته الخادمة بالعشاء، فاكل متمهلاً متذوقاً طعامه، وما ان فرغ من العشاء حتى تمدد على الطراحة، والقى رأسه على المسند، واشعل سيكاره، وراح يصغي الى صرير اسنان تطحن الشعير، وكأن الحصان بدأ يؤمن بصدق ما يأكل، فتمهل في الازدراد، وأخذ يتودد الى سيده بصهيل حنان.

هكذا اضطجع حمدان بك ناعساً، وقبالته صورة جميلة مضطربة مشوشة، شبه حلم مقامر اثر جلسة بوكر منهكة رابحة. فكان يرى الناطور وكوكبة الشبان وام فهد واللؤلؤة، ووعاء الشعير في لوحة ترتج امام عينيه على حداء اغنية القتال « . . . نسكر بالدماء . . صوت المروة » وهب النسيم من جديد وكبر القمر، وفيما هو يغفو شعر البك انه صار جزءاً من مخلوقات الله، ولاول مرة في حياته شعر انه هادن الخليقة واصبح على وئام مع ربه، وحصانه، وبين قومه.

وطلعت شمس صباح اليوم التالي على الضيعة الهادئة، واستعاد موكب الحياة فيها سيره البطيء المعتاد، وخرس صوت الحداء، واختفى ظله عن وجه المرابي، وعاد الجوع يتوطن امعاء الكديش، ورجع البك يزق اللفائف عن اعقاب السواكير و« يفعرك » منها سيكاراته، وراح الصندوق الحديدي يفغر فمه لينهش، ويدفن في بطنه آمال الناس وكنوز البك.

وفيما حمدان بك تداعب انامله مسبحة الايام ظهرت ام فهد من جديد تترأس وفدها ومعهم من الهدايا سطل لبن، وسلة خوخ، وعلى ألسنتهم من الشكر طوفان من الالفاظ، يؤدون واجب الشكر للبك ويعرفونه الى رفيقهم الافندي البيروتي الانيق الثياب، التاجر المتجول الذي يشتري اي شيء. والذي تطمح ام فهد الى بيعه اللؤلؤة، فقد كشفت لها الايام ان جهادها في سبيل استبقاء الجوهرة دون طائل، وانها لا تريد ان تلوث وجهها امام بيكها بان تعجز عن دفع دينها . وفيما شلال من الكلمات ينصب على رأس المرابي، نهض الافندي البيروتي متهماً واعلن انه على عجل من امره، وانه يريد ان يرى اللؤلؤة حالاً . وقديماً عرف عن « البيارتة » انهم والمجاملة المستطيلة في حرب دائمة.

يمر على الانسان هنيهات من العمر يفقد خلالها حواسه الخمس، ويصبح ميكانيكي السلوك تديره غريزة الطاعة . لقوة يجهلها . هكذا فتح حمدان بك صندوقه وناول التاجر البيروتي تلك اللؤلؤة . وسرعان ما قهقه الافندي ساخراً . وكأنما غاظته تلك اللعبة فانفجر « لئن كانت هذه لؤلؤة، فانا السلطان عبد الحميد . لفافيها بالشمع يا ام فهد فقد تصلح اذ ذاك سداً لثقب خابية . بل

اعطيها لاحد احفادك يلعب بهـا كلة . ولئن خطر على بالك ان ان تهزئي بي مرة ثانية فحاولي ان تكون النكتة مضحكة » .

قال هذا وانصرف حانقاً .

اما ام فهد فصعقها هذا القول ، وتفرست بحمدان بك فرأته واجماً ، حائراً فرقاً . وفجأة ذكرت سيرة ذلك المرابي وما تعرفه من انباء قسوته وعدوانه . وما سمعت عنه من اساليبه الابليسية ، اذاً فمن اجل هذا اداني المال من غير فائض — حتى اذا ظفر بجوهرتها استبدل بها ثانية مزيفة . ولقد غدر من قبل ام فهد بالفارملة وفقيرة .

واستفاقت المرأة من صعقة اللاطمة ، فكشفت عن رأسهـا وصاحت بصوت مزق الجو ، وثقب النجوم « يـ . . . ا . . . ذ . . . ل . . . ي . . . ا » .

سيبقى ذلك الخميس يومـاً يذكره الناس في ضيـاع « الشوف » من لبنان . فقد اجتمع الناس افواجاً في ساحة المحكمة حيث جلس القضاة الثلاثة ليصدروا حكمهم في دعوى استبدال اللؤلؤة المزيفة باللؤلؤة الاصلية . وقبل ان نطق رئيس المحكمة بالحكم ايقن الجمهور ان الحكم سيكون صارماً . فالقضية واضحة ، الايصال ذكر ان اللؤلؤة اصلية . وقد اعترف البك الظنين ان اللؤلؤة التي اراد ان يسلمها للتاجر البيروتي كانت مزيفة . الشهود ؟ مئات تطوعوا للشهادة . المدعي العام ؟ من اغتصب من ابيه كرم العنب حين استدان ابوه مبلغاً صغيراً يدفعها رسم المدرسة عن ولده ؟ التصرف الاخلاقي ؟ كم مئة شاهد تريد ؟ الدفاع ؟ البك لا يدفع اجرة محامين .

ثماني سنوات واربعة اشهر وواحد وعشرون يوماً .

وتفجر الصيـاح ، واشتد التصفيق . وحين مشى البك بين جنديين الى الخارج ، سمع كوكبة الشبان تحدو من جديد « نسكر بالدماء . . . خسيس النفس » . فشد باصابعه على كفه فوجد قبضته فارغة من اللآلئ ، واصغى الى الحداء ، فاذا هو اجوف لا جسم له ولا ظل . واذا الوان الحياة بهتت ، واذا به قد هرم في لحظة ، فهو يعجز ان يبغض الناس او يهواهم .

لئن حملتك قدماك الى جنوبي لبنان ، فلا يفوتنك ان تزور « بتدين » فعلك اذ تقبل على ميدان السراي ، تلمح قامة مستقيمة كالحربة تلبس عباءة مقلمة حمراء بيضاء وتعتم بعمامة بيضاء مكورة شأن اجاويد الدروز . ذلك هو الناطور يمتطي حماره في طريقه الى حبس « بتدين » ليزور حمدان بك . ولقد تزحم السيارات الناطور وحماره ، فلا ينذعر هو ولا ينذعر حماره . بل هو يمشي بحماره على حافة الطريق ، كما هو يعيش على حافة الحياة لا يرتقب ، ولا ينهو .

فاذا اطلّ على فناء السجن ابصر البك وقد ارخى لحيته ، ورأى السجين حمدان بك في الناطور الصديق الاوحد الذي لم ينقطع عن زيارته مرة في الاسبوع . وقد يتبادلان الحديث ، فيتألم السجين :

— اني اردت الاحسان الى ام فهد حين اسلفتها المال على لؤلؤة عرفت انها مزيفة . انهم ظلموني بذاك الحكم .

فيجيب ابو عباس :

— ان حكم العبد على العبد فاسد . وليس من حاكم الا هو سبحانه وتعالى . — لقد سجنوني !

— الدنيا كلها سجن ولن نُسرّح منها الا حين نموت .

— وهل انت تعتقد انني ابدلت اللؤلؤة ؟

— العلم عند علام الغيب . ويا فرحة المتهم ان كان عند الله بريء .

— وفهد شحرور ، ألم يكتب من « تشيلي » ؟

— لقد انقطعت اخباره مثلما ستنقطع اخبارنا .

ويشكر البك للناطور المآكل والاثمار التي اتاه بها ويستعطفه ان يرجع اليه في الاسبوع التالي فيجيب أبو عباس انه سيرجع ان قدّر الله له الحياة والرجوع وقدّر للبك ان يبقى حياً حيث هو .

اما البك فيعلم انه سيبقى حياً الى ان تنقضي مدة سجنه ، بعد ثلاثة شهور . وهو قد تأهب للعالم الخارجي فقد ارسل لحيته ولكن في وسعه ان يحلقها ويرجع الى سابق عيشه ، وفي وسعه ان يحلق شعر رأسه ويتعمم فيمسي من الاجاويد . ولا يزال تفكيره حسابياً ، ينظر الى طلعة الناطور الصافية تشف عن الثقة ، والبهجة ، والحبور التي تملأ نفسه فيقول ماذا عليّ ان صرت في صف الاجاويد ؟ . الآخرة ؟ من يدري ما هي واين هي ؟ من يعرف ان هناك آخرة ولكن حمدان بك يعرف وقد سبر العمق الصافي من نفس الناطور ان الاجاويد في تحويهم ربح تلك التي قد لا تكون موجودة — الآخرة — قد ظفروا بربح هذه الموجودة - الدنيا — وهو حائر فيما يفعل اذ يخرج الى الحياة ثانية — ايمسي حليق الوجه ، او يغدو حليق الرأس جويّداً يثأر للناس من نفسه بان يقهر نفسه .

في قدرته ان يروي عطش نفسه وينعم بهذه الدنيا « جويّداً » متقشفاً متعبداً شريفاً ، او مرابياً منتقماً ، أمّاراً شرهاً . اما الآخرة — ترى ماذا همس العقل في اذن حمدان بك وما هو فاعـل اذ يخرج من سجنه ؟

لعله في حيرته مرهف سمعه لصوت يتفجر من اعمـاق نفسه ويرمي ظلاله على طريقه . . .

مانيلا — الفليبين — سعيد تقي الدين



قلب يغني

☆

أنا في دنيـا التمنّي والهوى ، قلب يغني
لن اكف الشدو حتى تفرغ اللـذات دني
لا ابالي نلتُ من يومي او قد نال مـني
عبثاً يقوى عـليّ الدهر والحب مجـنّي
فأنا كالطير يقضي العمر من غصن لغصن
نسي الصياد والاشراك في دنيـا التجني
ومضى في الروض يشدو الحب بالصوت الأغن

وديع ديب

غناء

☆

مـا أغني وانتَ يؤلمك البوح اذا قلت ما يعذّب بالي
مـا اغني اذا نكرت جنوني فيك يا ملهب الرؤى في خيـالي
أنا اهواك فوق ما يصبر القلب فهـلا رفقت يوماً بحـالي
فأغنيـك ألف لحن طروب يرقص الملد في عباب الدوالي
شاعر انت يا هوايَ فلا تكفر بحـبي ولا ترد سؤالي
اعطـني بعض مـا رجوت من العطف ومن رقة وطيب نوال
أعطني انت ، انت ما ملهم الروح وخفف من وحشتي وملالي
أعطني ما يبدل اليأس زهواً سوسني الاجواء رطب الظلال
انا ارضى ، متي اتيت اغنيك بما بي من الهوى ، ان تبالي

حلمي معلوف

موميـاء هـذه الحضـارة

بقلم رمضان لاوند
استاذ الفلسفة في كلية المقاصد بصيدا

☆

صديقي

. . . وصلتني بطاقتك وانا على هيئة السفر الى بيروت . فسررت انك لم تنس في صخب باريس وضجيجها المتعالي ذكريات مدينة صيداء الصامتة .

والذكريات في الواقع سجل كثير الاشارات، وافر المادة، نتعلق في كل سطر منه بحقيقة او عبرة نتأمل خلالها كثيراً من حوادث حياتنا فينتهي بنا التأمل الى اكتشاف افق جديد من آفاق مستقبلنا الغامض .

ذكرت لي في بطاقتك النزهات الحلوية كما لم تنس الساعات التي تناولنا فيها شتى الموضوعات التي ما تزال تشغل بال كل منا .

والحقيقة : ان هذه الموضوعات قد نالت من عقلي حظاً وافراً من الاهتمام، فأنا اكرس لها اكثر ساعات فراغي مقلباً متأملاً، لا سيما وان الحوادث هنا في البلاد العربية تتطور بشكل سريع وغريب حتى كدت اعتقد ان للظروف المقدرة يداً خاصة في الاسراع بدولاب هذه الحوادث . ومن ثم عجزت عن ان اجعل من المقاييس العقلية نقطة ارتكاز لاي اسلوب من اساليبي في البحث .

والاسلوب العلمي -- كما تعلم -- لا يؤمن بالظروف وسبق الحوادث سبقاً يدفع اليه الهام عميق او صوت من اصوات القلب .

لهذا أجدني مستغنياً عن اسلوبي العلمي راغباً عنه ثائراً على بروده وضيق حدوده مستسلماً الى جملة من الاحساسات والرؤى، اكاد أجعل منها نقطة ارتكاز لي، وطوفاً احتمي به بين عباب الخضم اللانهائي .

سخيف هو منطق العلماء وغريب موت قلوبهم . انهم ينزعون الحياة من كل ما يلمسونه بعصاهم السحرية البائسة كما ينزعون عن كل ما يحيط بهم من موجودات اجمل مظاهره الفنية وخصائص عبقريته .

والناس كلهم يعجبون بالعلماء وينفسون عليهم غرابة اطوارهم . فكأني بهؤلاء لا يجدون فيهم الا ما نجده نحن في المومياء المحافظة على اساريرها المادية وخطوط محياها ولكنها -- ويا للاسف -- فاقدة لاجمل مقومات وجودها واحراها بالخلود وهي الحياة .

فالعلماء اذن آلات في مصنع مومياء العصر الحاضر يبهرون الناس ويدهشونهم باساليبهم الغريبة ومصطلحاتهم المبهمة والمستعصية على الافهام . وقد فعل مثل ذلك، الكهان والسحرة في الماضي . والفرق القائم بينهما هو ان الاولين قد جعلوا من الوجود الحي الطافر الى المجهول والمتطلع الى المستقبل كمية جامدة لا حراك بها تضيق النظر وتنشر قترة في القلب يصدأ بها ويذوي، وان الآخرين قد حولوا الآلهة الجميلة الراقصة في قلوب المؤمنين بالامل والثقة وحياة الضمير، اوثاناً محدودة جامدة فقدت جمال الوجود الالهي بطبيعتها الحجرية .

اتساءل الآن، تتجاذبني جملة من الخواطر العنيفة، هل يقلع الناس قريباً او بعيداً عن الخضوع المطلق للأساليب العلمية ؟

اصارحك القول انني سانتظر طويلاً لتلقي الجواب الحاسم، وقد لا اتلقاه ابداً، ان لم يصلح لمثل ذلك خاطر الم بي وراودني منذ بعيد فانكشف لي به كتاب الانسانية الطويل .

فماذا رأيت والام انتهيت ؟ .

رأيت في صفحات هذا الكتاب خطوطاً مختلفة الاشكـال والرسوم، تتضح تارة وتنبهم اخرى وهي في حالاتهـا كلها تظهر وكأنها تقصد الى شيء واحد لا تكـاد تقرب منه حتى تتألق باشعاع وضيء يحف بها من كل جانب ويدفعها سريعاً الى اعلى يشدها معه نوع من حركة تشنجية حتى تنتهي في صعودهـا الى هدفها السعيد فتلتف حوله وترتسم دوائر صغيرة يزحم بعضها بعضاً .

ثم لاحظت ان هذه الدوائر الصغيرة تبطيء في دورانهـا بصورة مطردة وبمقدار عدد المرات التي يتكرر بها ظهورهـا .

واخيراً خيل الي ان الدائرة قد جمدت وان طرفها النهائي قد انحنى الى اسفل مسترخياً مترهلاً ثم ترك منطقة ارتكازه ونزل الى قاعدته الاولى بطيئاً في نوع من حركة يائسة متشائمة . اما الآن فسأشرح لك معنى الخطوط التي رأيتها بعيني كما صورتها لك .

قلت ان الخطوط هذه تظهر وكأنها تحاول الوصول الى هدف تترقبه في كل ثانية فاذا ما خامرها خـاطر اشعرها بالدنو انقلبت

[illegible]

[illegible]

نشطت في* الآونة الاخيرة حركة جديدة في الفلسفة هي حركة الفلسفة الوجودية . ونحب قبل ان نبدأ بتعريف هذه الفلسفة الجديدة ان نشير الى ان هناك نوعين لهذه الفلسفة هما : الفلسفة الوجودية المسيحية والفلسفة الوجودية الملحدة .

واهم دعاة الفلسفة الوجودية المسيحية « جسبر » و « غبريال مارسيل » وهما كاثوليكيان . اما الفلسفة الوجودية الملحدة فيمثلها هيدجر وجميع الوجوديين الفرنسيين وعلى رأسهم جان بول سارتر .

غير ان جميع هؤلاء الفلاسفة الوجوديين يتفقون في مبدأ اساسي واحد هو : ان الوجود يسبق الماهية « L'existence précède l'essence » ونحن حين نقول ان الوجود يسبق الماهية فماذا نعني من وراء هذا القول ؟

حين يأخذ النجار في صنع طاولة او خزانة فلا بد أنه قد تمثل في فكره مثالاً لكل من الطاولة او الخزانة ، وكذلك فان الله — مهما كانت فكرتنا عنه — يتمثل مخلوقاته قبل ان يخرجها الى عالم الوجود . وهكذا فان « مثال » الانسان في علم الله قد سبق وجوده في عالم المخلوقات . تلك هي فلسفة افلاطون ومن شايعه من الفلاسفة .

حتى اذا كان القرن الثامن عشر وعمت موجة الالحاد ، قام الفلاسفة وحذفوا فكرة الله غير انهم ابقوا فكرة سبق الماهية للوجود .

نجد تلك الفكرة عند ليبنتز وفولتير حتى اننا لنجدها ايضاً عند « كانت » فقد قال جميع هؤلاء بان الانسان ذو « طبيعة انسانية » وهذه « الطبيعة الانسانية » هي مثال الانسان « Le Concept de l'homme » الذي نجده في جميع الناس .

وهنا نجد ايضاً ان ماهية الانسان التي هي طبيعته تسبق وجوده .

***

اما الفلسفة الوجودية الملحدة ويمثلها سارتر في فرنسا فهي تعتقد انه اذا كان الله غير موجود فان هناك مخلوقاً يوجد قبل ان يمكن تحديده او تعريف ماهيته ، هذا المخلوق هو الانسان او كما يقول هيدجر « الحقيقة الانسانية » ومعنى ذلك ان الانسان يوجد اولاً ثم يأخذ في تحقيق ذاتيته او ماهيته . هذا الانسان لا يمكن تحديد ماهيته في اول الامر لأنه ليس في اول الامر شيئاً مـا وهو سيكون على نحو ما سيصنع نفسه .

وهكذا فليس هناك « طبيعة انسانية » لانه ليس هناك مجهول يتمثل هذه الطبيعة وليس الانسان كما يتمثل ذاته بل هو كما يريد ان يكون بعد وجوده . وهذا ما يسمى في الوجودية « بالذاتية » .

***

ولما كان وجود الانسان يسبق ماهيته ولما كانت هذه الماهية تتعلق بارادة الانسان وعمله فانه ولا شك اصبح مسؤولاً عن وجوده وعن الصورة التي سيكون عليها هذا الوجود .

وليس يعني ان الانسان مسؤول فقط عن نفسه بل هو ايضاً مسؤول عن سائر الناس : فنحن حين نقول ان الانسان له ملء الحرية في اختيار وجوده وبالتالي مصيره فانما نعني بذلك انه حين يختار وجوده فانما هو في نفس الوقت يختار وجود غيره من الناس ايضاً .

أنت حين تختار ان تكون نجاراً او مهندساً او محامياً فما ذلك الا لأنك تعتقد ان الخير هو في النجارة او الهندسة او المحاماة .

وأنت حين تفضل الزواج عـلى العزوبة فانك بذلك تلزم الانسانية باجمعها على ان تختار الزواج وتترك العزوبة . انت اذن مسؤول عن نفسك وعن سائر الناس .

***

ونحن اذا عرفنا كل ذلك سهل علينا ان نتبين ما تعنيه هذه الالفاظ التي تتردد كثيراً في الفلسفة الوجودية . وهذه الالفاظ هي :

١ — القلق « L'Angoisse » ٢ — الترك «Le délaissement»

٣ — اليأس « Le désespoir » .

١ — فما معنى القلق في الفلسفة الوجودية .

معنى القلق ان الانسان حين يلزم نفسه ويلزم الانسانية معه لا يستطيع الا ان يشعر بقلق مر يجتاح نفسه . ذلك القلق الناتج عن شعوره بالمسؤولية الكبرى التي تقع على عاتقه امام نفسه وامام الانسانية جمعاء . وكل من يقول بأنه لا يشعر بمثل هذا القلق فهو ولا شك يخادع نفسه ويخدع الناس معه .

هذا القلق هو اشبه بقلق ابراهيم حين امر في المنام بان يذبح ابنه . اذ من يستطيع ان يبرهن لابراهيم ان الله هو الذي يأمره وليس الشيطان ؟ من يبرهن لابراهيم ان هذا الامر يأتيه من السماء وليس من الجحيم ؟ من هنا كان قلق ابراهيم . وليس يعني هذا ان هذا القلق سيؤدي بصاحبه الى الشلل وعدم الاقدام على العمل فان ابراهيم رغم قلقه سار بابنه الى حيث يضحيه ويحتمل مسؤولية عمله .

٢ — واما الترك délaissement فمعناه ان هذا الانسان وقد

* عرض موجز للمذهب الوجودي من كتاب صدر اخيراً لجان بول سارتر بعنوان : « الوجودية نزعة انسانية » .

آلام الصداقة

بقلم يوسف الشاروني

☆

أتذكر يا صديقي ذلك اليوم الذي جلسنا فيه جنباً الى جنب، وكل منا يحدق في عيني الآخر علّه يفهم سر تلك العاصفة التي كانت تعتمل في اعماقنا البشرية ؟ كنت قد احسست بفراغ رهيب بدأ يتكون بيني وبينك ، وكنت قلقاً على مستقبل هذه الصداقة التي جمعت بيننا في لحظات هنيئة ولحظات مريرة وأخرى عميقة .

ومن الغريب انني كنت احس في ذلك اليوم كله انني وحيد ، وان الوجود كله لم يجرؤ على ان يلمس أعماقي بعد . ففي الفجر كانت ثمة كآبة تغمرني، وعندما خرجت لاستقبل الشمس ، صديقتي منذ الطفولة ، رأيت كل شيء فرحاً : فالديكة تصيح والعصافير تزقزق والندى يقفز بلورياً حيناً وذهبياً حيناً آخر . وهرعت الى الكتاب اقرؤه، لكن كأنما ليس بيني وبينه ماض عميق، فهو لا يدري شيئاً عن كآبتي ووحدتي ، وما لي انا وهذه الاحاديث التي ازدحمت بين دفتيه على غير طائل ؟ وأخيراً اقبلت انت ايها الصديق البشري، لكنني أحسست بالفراغ نفسه يقوم بيني وبينك، ويبدو انه كان يخالجك الاحساس نفسه .

كان جنين الآلام قد اكتمل بيننا ، وكان لا بد من مواجهة لحظة الولادة الخطرة القاسية . وسمعنا للريح خشخشة عجيبة عندما مرت بأوراق الشجر الجافة فوقنا ، وبدأنا حديثنا قلقاً متقطعاً ، ثم امسكت حجراً ورميت به سطح الغدير أمامنا، فانزعج الماء الهادىء لحظة ، وصاح بعض البط الذي كان يسبح بجوارنا وهمّ بالطيران ، ثم ما لبث ان سكن كل شيء . وعاد الى ركوده الخانق كما كان .

وأخيراً بدأت التحدث ، قلت انني حاولت ان اصل الى اعماقك لكنني اصطدمت في الطريق بأحجار وأشواك .. كنت افهم انك لم تبك منذ زمن بعيد ، منذ طفولتك ، وحتى حين فقدت ابنك البكر منذ وقت قصير ورحنا نشيعه الى التراب كنت تشكو لي ذلك الجفاف الذي يكاد ان يخنقك . ولكنك لم تبك يوماً قطرة واحدة . اما في تلك اللحظة المتوترة العنيفة فيبدو انني قد آلمتك

غمره الشعور بالقلق وبالعبء الملقى على عاتقه لا يجد له معيناً في الارض ولا في السماء يهديه الى سواء السبيل . فليس هناك مجهول يهديه ولا يستطيع الناس ان يرشدوه . ذلك ان الانسان سيفسر تلك الهداية وهذا الارشاد كما يريد هو ، ومن هنا كان شعوره بالمسؤولية وشعوره بانه وحيد في هذا العالم لا معين له .

وعلى الانسان ان يخترع في كل لحظة مقاييسه وقيمه الاخلاقية الخاصة التي ستهديه الى شق طريقه في الحياة وعليه ان يتحمل مسؤولية هذا الاختراع في تقرير مصيره .

٣ — اما فيما يتعلق باليأس « Le Désespoir » فان هذا يعني انه علينا ان نعتمد على ارادتنا فقط وعلى جهدنا في تحقيق امورنا . نحن حين نريد شيئاً من الاشياء فان هناك كثيراً من الامور الممكنة لتحقيق هذا الشيء . يمكن ان نعتمد مثلاً في تحقيق هذا الشيء على مجيء صديق لي في القطار . وهذا يعني ان القطار سيصل في وقته المحدد . وهكذا ابقى في مجال الامكان حتى اذا اصبحت هذه الامكانيات خارجة عن نطاق عملي وارادتي فان عليّ ان انفض يدي منها لانه ليس هناك من مجهول او انسان يستطيع ان يخضع عالم الممكن لارادتي . من هنا كان الشعور باليأس عند الوجودي . اليأس من اية مساعدة ثانية من الخارج . ولكن لا يعني هذا ان اليأس يدفع به الى التواكل بل بالعكس يدفع به الى الاعتماد على نفسه والنضال بمفرده لانه يرى نفسه وحيداً في العالم لا معين له سوى ارادته وجهده والتزامه الذي اخذ به نفسه .

القاهرة — شعبان بركات

كما لم يؤلمك ثقل هذا الماضي كله وطأته المزدحمة عليك. فاندفعت في نشيج متقطع. وفي لحظة واحدة أذابت الدموع كل شيء. قابلني في الطريق الى اعماقك. وطغى عليّ شعور قـاتل، انني مجرم، واحتضنتك بين ذراعي كما لم احتضن انساناً من قبل وانا اجفف لك دمعك.

ومن يومها يا صديقي احسست ان هذه الصداقة مـا هي الا نوع من الخطيئة التي قدر علينا ان نقترفها كلمـا اجتمعنا معاً. فكلما افترقنا شعرت بوحدة وبحنين اليك واشتاق الى لقياك كأنما اشتاق الى لذة محرمة، فاهرع اليك. لكنني ما اعود حتى احس بندم عميق، فأعزم الا اراك، لكنني لا البث ان اعود مرة اخرى لنقترف معاً تلك الخطيئة، خطيئة الصداقة.

اننا حين نحس القلق من جراء عزلتنا، نحاول متخبطين ان نعبر الى الآخرين، ونتفادى الحب لاننا نعلم ان له آلاماً جبارة اذا هصرت قلباً ذات يوم الغت كل ماضيه وفرضت نفسهـا على المستقبل البعيد، ونحاول ان نجد الصداقة فما حدثونا كثيراً عن آلامها، حتى اذا ما خيل الينا اننا عبرنا عزلتنا، كان كل جهادنا الباقي هو ان نعود الى حيث كنا. لكننا لا نعود، فنظل متأرجحين وتحتنا هذه الهوات المخيفة تهددنا كل لحظة محـاولة ان تبتلع طمأنينتنا وثقتنا واخلاصنا.

ولكم عانيت من ثورة الضمير يا صديقي، لانني احس في اعماقي ان صداقتي معك ما هي الا نوع من الانانية، احبك لنفسي، بل انا ما أحببتك الا لانك تؤكد لي جانباً من جوانب ذاتي، وربما كان هذا هو الجسر الرفيع الذي التقينا عليه معاً. اما حيث اراك لا تتفق معي، حيث تفغر الهوات فاها بيننا فانني اكرهك، امقتك مقتاً شديداً واحطم ذلك الجسر الرفيع الذي اقتطعناه معاً من قلوبنا في أمسية خريفية او ساعة ذكرى رهيبة او اثناء حلم جميل، وتبتلعه الهوات الضخمة في لحظة من لحظـات اليأس الانساني الهدام، ولا اعود ارى الا الهوات التي تفصل بيني وبينك متسعة عميقة، فأفزع منك، واحس انك تخيفني اكثر مما يخيفني اعدائي، ثم لا البث ان افزع اليك كطفل صغير لانني اريد ان اؤمن بنفسي، اريـد انساناً يؤكد لي هذا الجانب من جوانبي.

بل انني في لحظات لأثور عليك، واتمنى ان افقدك الى الابد، وانت جـالس تتحدث اليّ حديثاً رائعاً، وعلى شفتيك ابتسامة مخلصة، لانني في هذه اللحظـات اكون ثائراً على نفسي التي انت صورة لجانب من جوانبها، وثائراً على نقائصي التي أحرص على الا يحس بها احد وتعرفها انت جيداً، والتي امقتها في هذه اللحظات بل ربما اخجل منها، فأتمنى ان تموت انت كي تموت معك هذه النقائص واكون ثائراً على ماضيّ الذي شهدته انت، بل الذي وجودك جزء فيه وأريد التخلص منه لابدأ من جديد، بينما مجرد وجودك الى جانبي يحملني على التردد، ولشد مـا يزعجني التردد. ورغم هذا فانني أظل مصغياً اليك، مأخوذاً بابتسامتك. حتى اذا ما انتهيت من حديثك، دفعتني هذه التمنيات السوداء التي جالت بخاطري على ان احبك اكثر مما احببتك من قبل.

ومنذ ارتبطنا يا صديقي معاً بهذا الرباط الروحي، من يومها وانا احاول عبثاً ان افصل آلامك عن آلامي، من يومهـا اصبح لقلبي مشاغل اخرى غير مشاغله، فكلما رايت الكـآبة تعلو وجهك أو استشعرت الانقباض في صوتك فان قلبي لا يستطيع ان يهدأ الا اذا عرف سر مرارتك – وكثيراً يا صديقي ما تحاول ان تخفي، لكن هذا ما يزيد الا في آلامي، فقد بت احس ان هذا حقاً من حقوقي، ولشد ما اتألم حين احرم حقاً من حقوقي، وان يحرمنيه صديق خفق قلبه مع خفقات قلبي.

ثم لحظاتنا الضحلة ... ! ان قيمة الصداقة انهـا تخلق ألفة روحية تستطيع ان تلغي التعبير وتصل الى اعماق النفس البشرية دفعة واحدة. اما في مثل هذه اللحظات الضحلة فاننا نحتاج الى التعبير، وانت تعلم كم يؤلمنا ان يصل احدنا الى الآخر من خلال براقع او عن طريق أدوات ميتة.

ثم هذه الغيرة القاتلة ... ! فكثيراً ما احس انك يجب ان تكون لي ولي فقط يا صديقي، كأنما اشتريتك بهذه الليالي التي سهرت فيها معك أيام مرضك الطويل، وبهذه اللحظات التي احس اثناء ضعفي انني ضحيت فيهـا بنفسي من اجلك حتى ترتفع، ثم بهذه المشاركة التي لها تاريخ طويل بيننـا. اشتريتك بهذا كله وانه لثمن غال حقاً، فاصبحت من حقي، فكم يؤلمني ان اراك تنصرف عني، وكم يؤلمني ان اراك تنصرف الى غيري اكثر مـا تنصرف الي. بينما أثور انا في لحظات على هذا الرباط الذي تحاول ان تربطني انت به، فأنساك احياناً لاهتم بآخرين. اريدك لي واريد كل الباقين لي ولست لاحد غيري. اتراها تلك الغيرة الصبيانية نمت معنا منذ الطفولة حتى اصبحت اليوم مبعثاً لألم يفسد علينـا جزءاً كبيراً من لحظاتنا؟.

القاهرة — يوسف الشاروني

الشعوبية وتأثيرها في الادب العباسي

بقلم نسيم نصر
استاذ الادب العربي في الكلية الوطنية بالشويفات

لم تصل الدولة العربية من عمرها السياسي الى بيعة علي في الحجاز ونهوض معاوية في الشام لمناوأة تلك البيعة وانتزاع الخلافة من ابن ابي طالب ، حتى بدا انقسام العرب ، هذه المرة ، اوسع خرقاً وأعسر رتقاً من الانقسام المكي اليثربي في مطل الرسالة النبوية على الدنيا وظهور الدولة العربية في ظل تلك الرسالة الرشيدة ، وذلك لان عوامل الفتن وتباين النزعات اصبحت ابعد غوراً في النفوس وأعدى في ايقاظ المطامع والاحقاد .

وهكذا كانت محاولات العباسيين ابناء عم الرسول ، والطالبيين ابناء بنته ، في استرداد الخلافة من آل ابي سفيان تفسح مجالاً لدخول غير العرب الخاص في شؤون سدة الخلافة العربية الاموية متظاهرين بالغيرة على نصرة اصحاب الحق ومقاومة اهل الباطل ، وهم ، في سرهم لا يضمرون غالباً غير الاقتصاص من العرب الفاتحين . على ان هذه المرحلة العسيرة من حياة الدولة العربية لم تكن ظاهرة جديدة او فعالية اولى في الكيان الدولي على صفحة هذه المعمورة ، فكثيراً ما تغزو امة امة اخرى بالسيف وتكون الغازية بالسيف مهزومة امام القوى الفكرية الطاغية عليها من الحواضر المفتوحة ، ولنا بفتح الرومان اثينا خير شاهد على صحة ما نقول ، اذ كانت رومة سيدة الموقف بالجيش المظفر ، واثينا سيدته بالفكر النير .

هذه كلمة لا بد منها لندخل الى قلب الموضوع الذي نحن في صدده الكلام عليه مستندين الى ان عوامل السياسة والحكم يغلب فيها ان تطغى على العوامل الاخرى في الظاهر ، ولكن الفكر البشري ، آية الاعجاز في الخليقة كان وما يزال القوة الرئيسية في تدبير هذه الحياة وتنظيمها والسير بها في مختلف مناحي العمران والرقي .

على ضوء هذه الحقيقة الثابتة نتبين ان الدولة العربية اصيبت ، بعد فتحها بلاد الفرس ، بما اصيبت به الدولة الرومانية بعد فتحها بلاد الاغريق ، فقد كان الفرس ، زمن الفتح العربي ، اصحاب دولة من أخصب دول الاعصر القديمة فكراً واعزها سلطاناً واكثرها عمراناً وأذهبها تمادياً في دروب الرفاهات ولم يتبينوا مواضع الضعف عند تنبه العصبيات العربية والاحزاب الخلافية حتى مدوا يد نفوذهم الى جهاز الدولة العربية ، بعد ان سربوا اليها إباحيتهم ، يعملون على زعزعة اركان وحدتها وقوتها ، وهذا « النخر » في دوحة الدولة العربية لم ينحصر بالفرس ، ممن فيأ عليهم السلطان العربي ، بل تعداه الى غيرهم ايضاً ولكن « منا خر » الفرس كانت الاقوى والبادئة .

اجل ، ان هذه النقمة السياسية الناشئة في ايام عزة الامويين والمكبوتة في عهد الاشداء الحازمين من الخلفاء العباسيين امثال ابي جعفر ، قاتل ابي مسلم الخراساني ، وهرون الرشيد ، مبيد آل برمك ، اخذت تشتد وتظهر في عهد من تلا الامين ، الذي يعتبره جل المؤرخين خاتمة الخلفاء الضابطين دولتهم بشكل يوحي بهيبة الحكم .

وهذه النقمة السياسية الحاقدة المتربصة لهدم كيان الدولة العربية عندما تري دعائمها في غفلة القائمين على رعاية شؤونها ، هي ما بنى عليه تعريف الشعوبية في التاريخ العربي .

ولنترك الان ما يمت مباشرة الى الحقل السياسي مقتصرين في تحديد الشعوبية ودرس أثرها كما عرفت في مفهوم تاريخ الادب .

فالشعوبية ، على هذا القياس ، طغيان النزعات الدخيلة على جسم الامة العربية وتفكيرها ، في واسع دولتها ، على النزعة العربية الصرف وتفضيل كل ما هو غير عربي على كل ما هو عربي ما خلا اللغة ، واشهر هذه النزعات وأولاها النزعة الفارسية .

قد يكون في تاريخ آداب لغات الارض كلها تاريخ لغة تظهر فيه مستفيدة من فكر الامم الداخلة في ظل حكمها بالقدر الذي تظهر فيه اللغة العربية ، فهي من هذه الناحية تتمتع بخاصة عجيبة اذ تبدو كالمصهر تذوب فيه آداب الامم الاخرى لتنصب في المسابك النثرية وتنتظم في الاسلاك الشعرية ، او تكون كخلايا النحل تجتمع فيها خصائص الازهار وعصاراتها الشهية او كمستقطرات العطر تنتزع الطيب من مكامنه ، ولئن كانت الشعوبية شؤماً على الدولة العربية سياسياً وفأساً قاطعة في اصول سلطانها ، فلقد كانت ، من حيث المظهر الفكري ، جداول منسابة هنا وهناك

تروي وتخصب وتثمر .

ولعلّ من الخير أن نُدخل في إبانة هذا التأثير بعض الشواهد الناطقة ، معتمدين على عرض موجز لبعض اقطاب الادب العربي او بالاحرى اللسان العربي ، دفعاً لما تتناوله لفظة أدب من المعاني الواسعة المتنوّعة .

من هؤلاء الغرباء عن الاصل العربي المجاهرين بعدائهم للنزعات العربية مجملة ، تحت لواء الادب الجديد ، فخورين باصولهم الغريبة متمادين في اعلان شعوبيتهم ،بشار بن برد ، راس مخضرمي الدولتين ، الاموية والعباسية ، وموطىء الجدة في الشعر العربي ، بعد الوليد ، يقول :

الا ايهذا السائلي جاهداً ليعرفني انا ، انفُ الكرم
نمت في الكرام ، بني عامر ، فروعي واصلي قريش العجم

وابو نواس ، ممثل عصره وحامل لواء الجديد في الشعر ، يُعلن شعوبية جريئة جارحة في قوله :

عاج الشقيّ على رسم يسائله وعجت اسأل عن خمارة البلد
يبكي على طلل الماضين من أسد لا درّ درّك قل لي من بنو اسد
ومن تميم ومن قيسٌ ولفهما ليس الأعاريب عند الله من أحد

الى ان يقول :

لا جفّ دمع الذي يصبو الى حجر ولا صفا قلب من يصفو الى وتد

ومطيع بن اياس ، اخو ابي نواس في رفع لواء الجديد يقول في جهر الشعوبية الخليعة :

لأفضل من بيدٍ يحار بها القطا ومن جبلي طيء ووصفكما سلعا
تراقب عيني عاشقين كلاهما له مقلة في وجه صاحبه ترعى

ألا ترى هذا الجديد الشعوبي كم يفخر مجاهراً بغريب الاصل وجديد المنهج محقراً الاصل العربي والمناهج العربية القديمة ؟ ان الامر ظاهر لا يحتاج الى كشف ولا الى تدليل فالعربية ايستوجها جديداً ، بكل ما في الجدة من معنى ، ابتداء من دخول الموالي الفرس وغيرهم البلاد العربية ، فبدلاً من اقتصار دائرة الشعر العربي الجاهلي على وصف الديار وذكرى الاحبة والمديح والهجاء والحكم المتفرقة وبعض المحاولات في الغزل « التقليدي » والخمرة والوصف « العيني » المتقطع ، وعوضاً عن اكتفاء الشعرين المخضرم والاموي بالقديم مع بعض زيادة عليه من شعر الاختصاص بالسياسة كشعر الاخطل التغلبي ، وشعر الاختصاص بالغزل على نوعيه العذري والاباحي ، كشعر جميل بن معمر وعمر بن ابي ربيعة ، أخذ شعراء الدولة العباسية يعدلون في المعروف من مناهج الادب القديم حتى يوشك ان ينتسخ ويفتحون من الجديد ابواباً لم تعرف من ذي قبل كالمجونيّات والزهريّات والصوفيات والزهديات الى غير ذلك مما يطول الكلام في عده .

واشهر ما يسترعي الانتباه عند درس هذا الجديد اهتمام هؤلاء المولدين بما نسميه في الدراسة : « الوحدة الموضوعية » . ولئن كان بعض مؤرخي الآداب العربية كالشيباني وابي عبيدة مثلاً ينعون على العربية فقدان متانتها وضعف احاطتها بشتات اللفظ العربي كما في شعر الفرزدق ، مثلاً ، الذي يفضلونه على جرير من اجل انه حفظ للغة العربية ثلث الفاظها من الضياع ، على زعمهم ، فاننا لا نرى اليوم هذا « الحفظ » شيئاً يحسب بقدر الى جانب ما ربحه الادب الجديد من المرونة والاحاطة باساليب الكلام .

ولا بد لنا ، مهما كان مجال الكلام ضيقاً في هذا البحث الصغير ، من أن ننوّه بان من ذكرناهم ، من شعراء العصر العباسي الاول الشعوبيين ، لم يكونوا سوى طليعة لشعراء كثيرين في الاعصر العباسية التالية ، بينهم غريب الجنس كابن الرومي ، صاحب اللوحات الوصفية الشعرية الخالدة ، وفيهم العرب الشاميون كابي تمام ، مفسح طريق الصناعة في الشعر العربي ومروض الحكمة فيه ، او كالبحتري ، مثقف الديباجة العربية وجاعلها ، مثلاً ، اعلى للشعراء ، ومُبلغ الفصحى ذروة من ذروات الوصف الرائع الذى قل ان سما الى اعلى منها شاعر آخر عند العرب وغيرهم من اصحاب الخزانات الشعرية ، وفي عدادهم ايضاً المتنبي والمعري المجليان في حلبة الشعر والفكر في آن واحد والمطلان من شاهق على دنيا التجاريب والفلسفة تنازل بهما المفاخرين وتفحم المكابرين .

اما النثر العباسي ، الذي قيل فيه : « بدىء بعبد الحميد وختم بابن العميد » وجلى في ميدانه عبدالله بن المقفع وابو عثمان المعروف بالجاحظ ، فلم يكن ممتنعاً على الشعوبية ، واسطع دليل على صحة ما نقول ان اثنين من هؤلاء الفرسان الاربعة عربيان بالبيان العالي واللسان البليغ وفيما خلا هذا فعجمتهم غالبة بادية لكل ذي فكر مبصر . فإسلام ابن المقفع على يد عم السفاح لم يمح من الكاتب مجوسيته محواً كاملاً وبيان ابن العميد لم يمنعه من ان يرأس ديوان البلاط السااماني ويستوزر عند ركن الدولة الحسن بن بويه .

هذه لمع قصدنا بها الاشارة الى ما أفادته العربية قديماً من الشعوبية لساناً وفكراً ، ولقد كانت العربية وما تزال مصابة بداء الشعوبية ، يشتد عليها حيناً ويضعف آخر وفقاً لعوامل ومؤثرات لا عدّ لمصادرها ولا ضوابط لمها بها ، هذا الداء المجهد الدولة والاجتماع كثيراً ما يحمل الصحة للسان والادب ولنا بما قدمنا عن العصور العباسية خير دليل .

نسيم نصر

ذهاب

✡

بعيداً . . ، ذهبتِ ، ولم أذهبِ ... وغلغلتِ ، في الافق الارحب
بعيداً . . ، على هدهدات النداء ، ... وخفق الرياح ، وحدو « الاب »
بعيداً . . ، الى حيث تفنى الحدود ، ... وتنهدّ أجنحة المـوكب
بعيداً . . ، وخلّفتني في الدروب ، ... بقـايا ، تموت ، مع المغرب

***

الى أين يا اخت ، ضاق المكان ، ... وأخنى الزمـان ، على منكبي
وأرسلت اغنيتي ، في الظلام ، ... ظلاماً ، بوجه الحيـاة الغبي
وجدّفت ، حتى جرحت السماء ، ... ولم ابق فيهـا على كوكب

***

حنانك ، حسبي ، مللت السرى ... وحيداً ، افتش عـن مهرب
طويت شراعي ، شراعي العزيز ، ... وعدت ، اكفكف ، من مطلبي
كتمتك ، في حرمة الذكريات ، ... وفي جوّها الشاحب المتعب

حمص ... عبد السلام عيون السود

منزلة الشعر بين الفنون

بقلم ابراهيم العريض

☆

٧ _ ما هو الفن ؟

بعد القسم الاول من البحث نفرغ فنجيب باطمئنان على السؤال الذي طالما حيّر النقّاد وهو . . . كيف يؤدي الشعر رسالته كفن . اما ما هو نوع هذه الرسالة التي يؤديها الشعر – مع سائر الفنون الجميلة – كفن . فذلك ما سيكون موضوع بحثنا الآن .

وتوطئة للبحث ينبغي ان نعلم انه قدّر للانسان وحده – في عالم الاحياء – ان يتمتع بوجوده ضعفين . فالحياة التي تنبسط بها راحة الزمان على الارض تحت هذه القبة الصافية هي نفسها متعة . وروحها (اي الحياة) التي تتطلع الى تحسين نفسها والتدرج بالانسان – كمثل اعلى – في مراقي كماله مع سير الزمان هي بدورها متعة اخرى .

واذا كان ابناء الحياة قد جادت لهم « أمهم » لكل بنصيبه من وحي الغريزة والتطلع الروحي الى ذلك المجهول . فانّ هناك فئة من ابنائها هم اكثر حساسية . تلبسهم الحياة كما يلبسونها . هم الذين تتفتح اريحيتهم تحت قبلها ، وينفذون ببصيرتهم الى ما وراء تلك الآفاق التي تتدرج نحوها الانسانية – في مطارح الاجيال – بخطى لا تني .

فهم هؤلاء يحاولون دائماً – بمختلف الاساليب – ان يحدثونا بنعمة الحياة وجمالها . وان يوجهوا – بحسب ما يتجلى لهم – أنظارنا الى هذه الآفاق التي يكتنفها ضباب الزمن . والتي لا بد ستصلها – يوماً ما – الانسانية جمعاء . هذه المحاولات لم تنقطع في الحياة مذ رأى آدم ظل آلهه في مرآة وجوده . وانما كل محاولة من هذا النوع هي رسالة الفنون الجميلة . . . والذين يقومون بها – في فترات – هم الفنانون .

***

قلنا ان هذه الفئة هي اكثر حساسية تلبسهم الحياة كما يلبسونها . ذلك لانهم يكونون ايقظ روحاً للجمال وأدق احساساً بمظهره في عالم الطبيعة . كما انهم يكونون ايقظ روحاً وأرق احساساً بفتنته في عالم الاحياء . وهذا ما يهيب بهم الى ان يحدثونا بنعمة الحياة وجمالها . فيعود حديثهم عن نعمة الحياة وجمالها – بلغة الفن – نعمة للحياة وجمالاً لها ثانياً .

ان هذه الفئة هي اكثر حساسية . لان الفرد منهم يستطيع ان يستجيب لكل احساس خالج غيره – دقّ او جلّ – في ابانه كما لو كان هو ابا عذرته . ومعنى هذا ان الفنان يستطيع ان يتقمص كل نفس ليشعر شعورها . وان يرى ما غاب عنه . . . رؤيته لما بين يديه . مهما حال بينه وبين الباعث من الفوارق وبعد المكان . فهو يستجيب تواً لفيضان النيل او زلزال طوكيو او حريق لندن . . . استجابته لصرخة ام او انين طفلة في حادثة اصطدام .

وهم اكثر حساسية . لان الفرد منهم يستطيع ان يستحضر كل احساس بعد فوات اوانه بحرارته الاولى ابان وقوعه . ومعنى هذا ان الفنان يستطيع ان يحشر في حاضره ماضي البشرية كلها .

ويستقطر هذا الماضي لينفحنا بأطياب فنه . فهو يستحضر مثلاً موقف آدم عند طرده من الجنة . او الفتية عندما أووا الى الكهف او ذي القرنين عندما بلغ مشرق الشمس . . . استحضاره لصورة حواء وهي تحاول ان تنشيء على الارض جنة اخرى . او فرعون عندما ابتلعه اليم . او عيسى عندما عرج به الى السماء .

ان للفرد من هؤلاء نفساً تراوح بين الخيال والشعور . فهو لا يقع من شعوره الا على خيال ولا من خياله الا على شعور . او لعل الأصح ان نقول انه يشعر بخياله ويتخيل بشعوره . . . فلو لم يكن هو يشعر بخياله لما استطاع ان يستحضر كل احساس بعد فوات اوانه بحرارته الاولى ابان وقوعه . ولو لم يكن يتخيل بشعوره لما استطاع ان يستجيب لكل احساس -- دقّ او جل -- في ابانه كما لو كان قلبه هو مسرحه الاصيل .

على ان الاستجابة للحادث ابان وقوعه واستحضار صورته بعد زمان من وقوعه ما كان ليكفي وحده . فانما تلك خاصية لا تتعدى شخص صاحبها . لو لم يكن هو قادراً -- بالاضافة الى آيتهما -- على ان يعيد خلق هذا الحادث في نفس غيره . . . كخلقه في نفسه . وان يحرك في سواه . . . مثل شعوره . والميدان الوحيد « للخلق » امام الانسان -- كان ولم يزل -- هو الفن . والذي يضطلع بهذه المهمة مزوداً بخاتم الخلود هو الفنان .

***

وقلنا ان هذه الفئة هم الذين تتفتح اريحيتهم تحت قبل الحياة فهم يحاولون دائماً بمختلف الاساليب ان يحدثونا بنعمة الحياة وجمالها . وذلك لأن الفرد منهم يتصل بالطبيعة اتصاله بالحياة .

فأما صلته بالطبيعة ففي الاستجابة لوحي جمالها في كافة مظاهره -- روعة وانسجاماً -- وبث اثر هذا الجمال من جديد في كل نفس لا تتصل به مباشرة في موطنه . . . كالسراب في الصحراء . واذا قدر لها الاتصال فحيث لا تدركه على حقيقته . . . كافترار الورد ايذاناً بالربيع . او لا تستوعب اثره كاملاً . . . كصوت البلبل في الاسحار .

واما صلته بالحياة ففي الانفعال بحسنها في شتى مظاهره كذلك -- رأفة وابتهاجاً -- وخلق اثر هذا الحسن من جديد في كل نفس لا تتصل به مباشرة في موطنه . . . كالشجاعة في الحروب . واذا قدر لها الاتصال ايضاً فحيث لا تدركه على حقيقته . . . كضحك الواله في قبضة اليأس . او لا تستوعب اثره كاملاً . . . كغناء الام اول ما تهوّد للرضيع .

غير انه اذا انفعل بحسن الحياة او استجاب لوحي جمال الطبيعة هزته اريحيته الى ان يشرك غيره في الشعور المنبعث عن هذه الاستجابة او ذاك الانفعال . فلا يملك نفسه دون ان يغمس ريشته في الالوان اذا كان مصوراً او يمر بأنامله بين الاوتار اذا كان موسيقياً او يأخذ في الغمغمة اذا كان شاعراً فيمضي -- تحت تأثير ذهوله -- في خلق صورة او نغم او شعر . يعيد الى الانفس اليقظى -- كالحلم -- ما كانت تسبح فيه روحه من اجواء . وهذا ما تنطق به حياة رفائيل وبتهوفن وشللي في الغرب القديم . والسيد درويش وطاغور في الشرق الحديث .

ولذلك فالشاعر عندما ينظم او الموسيقي عندما يعزف او المصور عندما يلون . . . لا يفعل ذلك الا اشباعاً لنهم في نفسه . لا ارضاء لرغبة احد . ففي الساعة التي يلتفت فيها هو الى الناس . او يحاول ان يبتذل شعوره لاجل الناس . او يتخذ المناسبات طريقه الى الظهور . . . يصبح عمله صناعة بحتة . وتنطفيء شعلة الالهام في نفسه . ويضرب بينه وبين الفن حجاب .

ولعل هذا هو الذي دفع اسمعيل مظهر الى ان يقول في وصف الشعر : « يخيل لي ان جوهره لا يعرف . وانما يدرك بأثره . وأثره نفساني أثره في الروح لا في العقل . فبمقدار ما يحرك الشعر في نفسك وروحك يكون جوهر الشعر من الصفاء والكدرة . وقليلاً ما يخاطب الروح او النفس شعر شوقي وشعر حافظ . . . اذا أثرت الروح فأنت شاعر . اما اذا خاطبت العقل فأنت -- ولا مؤاخذة -- نظام » .

وما الفارق بين الصنعة والفن . . . الا ان الاولى فيها مجال للشركة . فهي تسهل الانتاج . ويتكافأ فيها العرض بالطلب . وصاحبها ذو قدرة على انجازه عفو الساعة . وفائدتها مرهونة بأوقاتها بينما الثاني لا يتقيد بزمن . وعمليته « خلق » لا انتاج . فهو اذا حسن ففي ساعة الهامه . ولا يستقل به غير اهله . او قل اذا شئت ان الفرق بين النظم والشعر هو الفرق بين عمل الذهن ووعي الشعور .

فاذا كان الصناع لزاماً عليه -- فيما ينتج -- ان يرضي رغبة الجمهور لان صلته هي بالجمهور اولاً واخيراً . فان الصلة التي تقتصر على الحياة والطبيعة وحدهما هي التي تثمر الفن . . . والذي يتمتع بهذه الصلة هو وحده الفنان .

وقلنا ان هذه الفئة هم ينفذون ببصيرتهم الى ما وراء تلك

الآفاق التي تتدرج نحوها الانسانية في مطـارح الاجيال بخطى لا تني . وذلك لان الحياة نفسها تتخذهم روّاداً لبنيها . والرائد لا يكذب اهله . فالفرد من هؤلاء لا يحشر في حاضره – احياناً – ماضي البشرية كلها فحسب . بل يتجـاوز ذلك الى المستقبل . فيكاد ينير بمثاله الطريق .

ولعل اعظم شيء يقوم به هؤلاء في انفسهم هـو الشعور بحاجات الانسانية فيما تستقبله من العصور . والسير بالحياة في طريقها السوى . فاذا كان من الصعب على المؤرخ اثبات هذه الظـاهرة لهم . فان الآثار الفنية بين يدينا . والتـاريخ لا يخون اذا نطق بلسان الفنان .

تأمل في متحف اللوفر صورة « عامة مدوسا » للمصور جيركال مثلاً . وقارنها بصورة « سباق دربي » للمصور نفسه . فتدرك اي عصر زاهر استهله هذا الفنان في تاريخ فرنسا الفني باتصاله المباشر بالحياة . حيث عاد بمواطنيه الى رحاب الفن من جديد . بعد ان كان الفن يؤوّل عندهم بالزخرف والتهويل .

وما لنا نغرّب وامامنا البحتري . تأمل موقفه في السينية وهو يصف ايوان كسرى فيقول :

حضرت رحلي الهموم فوجه	ت الى ابيض المدائن عنسي
أتسلى عن الحظوظ ، وآسي	لمحل من آل ساسان درس
ذكرتنيهم الخطوب التوالي	ولقد تذكر الخطوب وتنسي
وهمو خافضون في ظل عال	مشرف يحسر العيون ويخسي

فهو هنا – كما ترى – يقول بصراحة بالغة انه يأسى لمحل درس من آل ساسان . ثم يمضي في وصف هذا الاثر الخالد بدقته الفنية – وليس هذا موضع الدلالة عليها او الاستشهاد بهـا – حتى اذا اشرف على نهايته قال ايضاً :

عمرت للسرور دهراً فصارت	للتعزي ربـاعهم والتأسي
فلهـا ان اعينها بدموع	موقفات على الصبابة حبس
ذاك عندي . وليست الدار داري	باقتراب منها، ولا الجنس جنسي
غير نعمى لاهلها عند اهلي	غرسوا من ذكائها خير غرس

وهنا محل الشاهد . فهو يقول ان الدار ليست داره باقتراب منها . . . ولا الجنس جنسه . ومع ذلك فهو يعينها بدموع موقفات على الصبابة . أترى ان عربياً وقف هذا الموقف قبله . وأفسح في صدره مكاناً لتقدير روائع الآثار التـاريخية حبـاً في سواد عيون اهلها .

ولا تنس ان البحتري كان شـاعراً مدّاحاً بحكم عصره . يبهره بريق المادة ويستهويه شعاعها . ولكنه مع هذا يقف على أثر دارس لا يرجى مـن ورائه خير او معروف . فيصفه وصف المفتون به . ويشيد بذكر من تركوه – من الفرس – أثراً بعد عين . وقد احصى التاريخ على انفاسهم مئات السنين .

وتأمل الآن هذا البيت الذي اختتم به الشاعر قصيدته .

وأراني من بعد أكلف بالأشـ	ـراف طراً من كل سنخ وأس

فما الداعي الى هذا الاعتذار ؟ .

ان موقف البحتري كان بدعاً في عصره . ولكنه كان رائد الانسانية في طريقها السوي لتخطي التخوم التي يقيمها الجنس واللغة والدين الى عصر لم يأن لشمسه ان تشرق بعد . خلافاً لما نهج عليه بنو عمه من سبل في الحياة حتى ذلك الحين .

هذا مثال واحد من مئات الامثلة في تاريخنـا الادبي ان دل على شيء . فانمـا يدل على ان الفنون الجميلة – والشعر احدها – تحتضن الحياة في كافة اطوارها . وتخاطب ابناءها بلغة الروح العليا والذي يتكفل لنا بتحقيق كل ذلك هو . . . الفنان .

٨ – الفنون الجميلة

والآن يحسن بنا ان نلقي نظرة على الفنون الجميلة . لقد درسنا في الفصل السابق ما هو الفن . وبقي علينا ان نتفهم المظاهر المختلفة لتكوينه . وهذا يقتضي ان نجول جولة بين بدائع آثاره . فتعال معي – اذن – ندخل الى متحف يضم كل هذه الآثار .

ها نحن الآن في متحف الفنون الجميلة . نجد في احد اركانه آيات التصوير ، وعماده على الاشعاع الذي تنعم به العين وحدها . وفي الركن المقابل روائع الموسيقى . وقوامها على التموج الذي هو متعة للاذن خالصة . وما بين هذين وبالنسبة اليها تتخذ الفنون الاخرى مواقعها في ارجاء المتحف قريباً او بعيداً . امـا كيف تفعل ذلك فهو ما سنحاول ان نلم به في كلمتنا التالية . وان اضطرنا طول البحث وسعته الى الايجاز .

فلنستعرض هذه الفنون واحداً واحداً بادئين بالنحت .

***

يلاحظ في فن النحت انه يقتصر على تمثيل الاجسام البشرية في هيئات لا تتجاوز دلالتها احدى ثلاث – ما تتمتع به من جمال في الحياة كتماثيل آلهة اليونان . . او قوة بالحياة كبعض تماثيل القياصرة . . . او سلطان قاهر على الحياة كالاصنام التي يعبدها الهنود .

وليس من غرضنا الآن ان نشرح كيف تميز الملامح والخطوط التي يطبعها الفنان بازميله على الصخر ظل النفسية التي ينم عليها التمثال . او كيف تلبس هذه النفسية التي ينم عليها التمثال عاطفتها الحيوية بالوضع المناسب لها لكي تضفي على ما تمثله رواء الشخصية الكاملة . فذاك هو من اختصاص الذين يعكفون على هذا الفن في معاهده بالدرس والتطبيق .

غير ان الذي لا بد من تقريره هنا هو ان فن النحت يرمز الى الشخصية في تمثال صاحبها بالسكون المطلق . كما تشير افعال هذه الشخصية اليها في الحياة بالحركة المستمرة . فهو لا يعتمد كالتصوير مثلًا في الحكم على نفسية صاحبه بآية ما يؤلفه او يرتاح اليه من الوان . او كالموسيقى في الدلالة عليها بآية ما يؤلفه او يرتاح اليه من انغام كذلك . . . وما ينبعث عن هذه او تلك من ارتعاشات في النفس المتطلعة . وانما يذهب توا الى الجسم الحي نفسه . فيتناوله من الزمن على هيئته تلك . ليتحدث اليك بلسان حاله . ولا فارق هناك بين الجسم وتمثاله الا انك تشعر امام هذا الاخير بان الزمان قد جمد معه .

وعلى هذا في النحت لا ترى ما كان يتقلب فيه الجسم من اضواء وظلال . وانما تنظر الى الجسم نفسه – امامك – ماثلا . وسر الفن كله هو في ان يجعلك مباشرة تستشف من هذا الوضع الذي يقابلك به التمثال كل تاريخه الارضي . لا بصورة غير مباشرة كما هو الحال في سائر الفنون .

وفرق آخر هناك بينه وبين هذه الفنون . في النحت وحده تستطيع حاسة اللمس الى حد ما ان تستقل دون الحاسة الباصرة . او تشترك معها ضمن نطاقها المحدود . . . في الاعجاب والتقدير . وعلى هذا الوجه الضيق فقط يستطيع الذين لا يبصرون ان يدركوا شيئاً من روعة هذا الفن وجلاله . . بأطراف الانامل لا غير .

***

واذا انتقلنا من النحت الى التصوير لاحظنا انه يتجاوز الاجسام البشرية الى المناظر الخلفية التي تتراءى وراءها . وربما اقتصر التصوير على هذه المناظر بالذات .

اما دلالته على نفسية المصور فكما قلنا بآية ما يؤلفه او يرتاح اليه من اضواء وظلال . . تتدرج من الخطوط السريعة البسيطة . الى الوان الطيف كلها وهي التي يبلغ بها التأليف غاية التعقيد . وتختلف هذه بالطبع عن دلالته على روح ما يصور . اذ ان هذه الاخيرة انما تكون في اختطاف تلك اللمحة التي تتألق على الوجوه والثياب في غير حالتيها من حركة او سكون .

فالصورة – كالتمثال – قطعة جمدت من الزمن . الا انها هنا تنتزع من الطبيعة التي لا تحد لتوضع في اطارها . في فترة مقتضبة تكاد تتنفس بها الالوان فتوهم بالحياة . ولذلك ففي الصورة مجال واسع – دون التمثال – للاحتفاء بالاجواء المختلفة التي تتقلب فيها الطبيعة . وما ينعكس من اثر هذه الاجواء في النفس الحساسة من كآبة او اشراق .

وهنا ايضاً لا يسعنا ان نشرح كيف يبلغ المصور غايته بالخطوط والالوان . فان مثل هذا البحث من اختصاص اولئك الذين ينصرفون الى تلقي اصول هذا الفن في معاهد اختصاصه بين بدائع آثاره . غير انه لا مندوحة من القول ان هناك آصرة قوية بين النحت والتصوير هي التي جعلت لبعض عباقرة الفن – مثل ميخائيل انجيلو – يداً بيضاء تبدع الاثنين .

كما يجب ان نذكر ايضاً ان الصور الناتئة التي يبرزها الفن على صفائح الصخر او المعدن تحاول ان تجمع بين فني النحت والتصوير بالاقتصار على الصفة المشتركة بينهما . فتضحي في سبيل ذلك من النحت باستدارة الاجسام . كما تضحي من التصوير بطبيعة الجو المتقلب الذي تعبر عنه لغة الالوان .

ان التصوير – كغيره من الفنون – شأنه شأن العدسة التي تكور الاشعة كلها الى مركز . فهو يوجه الحواس الى ناحية من الطبيعة كادت تنفرد بفتونها او شطر من الحياة استكمل روعته . في زمنها المقتضب . ليعيش المرء تلك الفترة من عمره مجدداً اذا كان له بها سابق عهد . والا يخلقها في نفسه خلقاً .

***

• الرقص •

في الفنين السابقين كنــا نتعرض الى تعليل ظاهرة – على قدمها – حديثة العهد في تاريخ الانسان . فقد نشأ اولها وهو النحت بدافع الشعور الديني من الحجر الذي توجه اليه الانسان بالعبادة . بعد ان اتخذه لصلابته – مبدئياً – رمزاً للخلود . كما كان ثانيهما وهو التصوير نشأ عن رغبة الانسان الملحة في تسجيل مايشغل ذهنه من صور الحيوانات المتوالية التي تكــاد لا تقره اذا كمن لصيدها – كلما غشيته غاشية الجوع – وراء الكمين .

اما الرقص فهو اقدم منهما عهداً . ولعلنا لا نغالي اذا قلنا انه اعرق الفنون قدماً . اذ انه الظاهرة الوحيدة التي تعم عالم الحيوان . يشتركون فيها جميعاً على السواء . فالحركة – منذ كانت – ابسط تعبير عن النشاط . كما ان انسجامها كان – ولم يزل – مظهر التوقد العاطفة في الانسان الاول . خلال العصور التي سبقت التــاريخ . كشأنه مع الاطفال الى اليوم . ويأتي الغناء بعد الرقص مبــاشرة عراقة في القدم . لانه اخذ تدريجياً يحيي الطقوس الدينية بالاشتراك معه . وبات مثله مظهراً من مظاهر الانسجام .

كان الانسان القديم يمارس الرقص ويشعر نعرة الظفر كلمــا تغلب على خصمه في قتال او أدرك مأموله من الطبيعة حوله . وكان يظهر ابتهاجه بنوع خاص في فصل الربيع . حين تتجلى الارض بكامل زينتها بعد ان ظلت تغط في سباتها العميق – حــالمة بالبعث – طول الشتاء . وهنا يتضح اثر العامل الجنسي الذي يكمن وراء كافة الفنون وان كان في بعضها لا يحس بالمرة . فلما جــاوز الانسان ذلك الطور الفطري – طور البداوة – الى الحياة المتحضرة انتقل الرقص من البساطة الى هذا التعقيد الذي يجعله – في حدوده – فناً قائماً بذاته . بعد أن اصبحت صلته مقطوعة بماضيه السحيق .

ولا نستطيع في هذه العجالة ان نذهب في المقارنة بين كافة مذاهب هذا الفن من الحركات الاندفاعية التي تقوم بهــا راقصة المسرح في الغرب المادي بساقيها العاريتين . الى هذا التمايل بالجسم والتلاعب بالانامل واليدين الذي تقوم به راقصة المعبد في الشرق الصوفي وهي في زيها الكامل . ولكن الذي لا بد من قوله هنا هو ان الراقصة في كلتا الحالتين تظل محتفظة بسمت الوقار الذي يعزلها عن الجمهور ويسبغ على ملامح وجهها في شبه ذهول جواً – صمّه روحانياً – هو ما تحاول الراقصة بثه في نفوس النظارة .

ان لكل ايماءة في الرقص مغزى خاصاً ومعنى لا يشتبه على اهله في التعبير عن الخوالج النفسية . تستجيب له النفس طواعية على ضوء المشاعل في مسارح الغاب . او في اجواء تختلقهــا الحضارة لتفعل فعلها في النفوس ومن هنا عد الرقص احد الفنون الجميلة .

فهو بالمقارنة الى فن النحت يصبح تمثالاً متحركاً . والى فن التصوير صورة حية . . والى فن الموسيقى نغماً مرئياً . . والى الشعر كلمة مجسدة . لان الراقصة تتحدث الى السواد الاعظم – وهو أمي – من تفلّت جسدها بلغة مفهومة يدركون معانيها بغريزتهم وان ضاقوا ذرعاً بقواعدها . ولهذه اللغة الارضية ما لسائر اللغات من محروق فني يبلغ الذروة احياناً . ويحيلها في التسامي شعراً روحانياً .

***

• الغناء •

ان الرقص يؤدي بنا حتماً الى الغنــاء . فهو العنصر الذي يستقل في المحافل بامتاع السمع . كما ان الرقص – صنوه – يستقل من جهته بأمتاع البصر . وكلا الفنين لا يمكن الاستمتاع بهما – على الوجه الاتم – الا مشاهدة واستماعاً عن كثب . فترة غير قصيرة من الزمن ليتم التجاوب بين الارواح .

وخليق بفني الغناء والرقص ان يكونا فرسي رهان . لان الفنان يقف فيها بنفسه الرطبة مباشرة امام الجمهور . بينما هو في سائر الفنون يتخذ الوسائط اليها من غير ذات نفسه .

ومع هذا ففن الرقص هو الذي يقع وسطاً بين فني النحت والتصوير من جهة . وبين فني الغناء والموسيقى من جهة اخرى . لانه يستقل دونهــا جميعاً بالحركة الملحوظة . وان اشبه الاولين بشكله – في الايحاء الرمزي – كما يشبه الاخيرين بايقاعه .

وقد قلنا ان الغناء يأتي مباشرة بعد الرقص عراقة في القدم . ولكنه لا يقل – لهذا – تأثيراً عنه . واداته في التعبير هي هذه التموجات الصوتية التي تكاد تذوب الحاناً . والتي فضّل الله بها المغنين بعضهم على بعض سبحانه . ومن الخطأ القول ان قيمة الغناء هي في معاني الفاظه . فانما الالفاظ عنصر دخيل قد يرتكز عليها الغناء . ولكنه لا يدين لها في سحره بشيء .

ان اللهاة – لهاة المغني – وحدها كفيلة بالتعبير الكامل عن

كافة الاحاسيس . وتستطيع بالتموجات الصوتية ان تطبع على النفس صورة الشخصيات المحبوبة التي يفتن بها الانسان من رقة الالم الى خفر العروس . دون ان تضطر الى الاستعانة بشيء غير ما توجده في النفس من ارتعاشات واهتزازات تحاكيها فتوناً .

وهذا ما احس به « حبيب » حين سمع قينة تغني بالفارسية — وهو في طريقه الى خراسان — ففتنه صوتها فقال :

فما خلت الدود كسبن شوقاً	لقلبي ، مثل ما كسبت يداها
ولم افهم معانيها ... ولكن	ورت كبدي ، فلم اجهل شجاها

ان الصوت البشري عالم حافل يتماوج بالفتون . تتعدد فيه الصور الناطقة لبني آدم وبنات حواء تعددها في المجتمع البشري . وهو يتماوج — على اختلاف النشأة والجنس — بشعوبه مثله . الا ان هذه الصور تعيش في عالمها هناك — عالم الاثير — مرتعشة بأشباحها دون ان يعلق بأردانها التراب .

ويستطيع هذا الصوت وحده من قمة الصفاء ان يوحي الى النفس — فتستجيب له حالمة — بكل ما تختلج به في معترك العواطف وتلاطم الاهواء من الوان الشعور . من غير ان يستعين هو على الايحاء بشيء . اللهم الا الموسيقى . فكيف اذا حلق بالمغني صوته — موهناً — الى السماء . ثم عاد ندياً الى الدنيا من جديد بنفحات الخلد من خمائل الفردوس .

***

• الموسيقى

اما الموسيقي وهي التي يلذ معها الغناء دائماً في قرن فتحاول ان تتجرد من ملابسات الارض . لتتصل من افقها بمواطن الاحساس مباشرة . دون ان تسلك اليها طريق الاناسي . فكأنها تأخذ بزمام العاطفة ابداً من حيث يطلقها الغناء . لتبلغ بسحرها اعمق الاعماق .

لقد قلنا ان لهاة المغني وحدها كفيلة بالتعبير الكامل عن كافة الاحاسيس . اما آلة الموسيقي فانها تحلل هذه الاحاسيس الى عناصرها الاولى . فيكاد يشعر السامع ازاء ما يتركب من صورها الجديدة ان قلبه وحده في عالم ثان . وقد أشرنا الى تنوع هذه الآلات في بحثنا حول الموسيقى الشعرية . فلا داعي لأن نعزف عليها المعاني من جديد .

على ان الغناء اذا كان يحاول من قمة الصفاء ان يوحي الى النفس بكل ما تختلج به من الوان الشعور . فان الموسيقى تحاول من ممثانها ان تضفي ظل هذه الالوان عليها دون ان تعنى بالبواعث التي تلونها . او لعل الاصح ان نقول بأنها تدمج هذه البواعث في الارتعاشات التي ترسلها في النفس . بحيث تصبح هي وظلها سيان .

والموسيقى عريقة في القدم . تكاد ترجع صداها ارجاء الكهوف التي عاش فيها الانسان في العصر الحجري . وان هي لم تبلغ في القدم عراقة الرقص او الغناء . وانما لجأ اليها سحرة القبائل عندما اشتركت جموعها لاول مرة في الرقص الايقاعي امام النار الموقدة . فكان التصفيق ايذاناً بمولدها في الوجود . ومن ثم تدرج معها الانسان في مراقي كماله الى الحال التي بلغها وينعم فيها الآن . وكان لها دائماً في ارهاف حسه وتهذيب طباعه اكبر الأثر دون سائر الفنون .

والموسيقى — على هذا — اعرق الفنون رمزية . لانها ترمز الى شيء غير ظاهر ولا مرئي . وانما موطنه القلب حيث تنشىء لها من معنى الطرب سماء اخرى ترقص نجومها . ويكتنف لغتها غموض لانها تزخر بالاسرار التي يخفق بها هذا القلب . وآفاقها واسعة ... سعة الاماني التي تنفلق عنها حبته في اليقظة وتنطوي عليها في الاحلام . وفيها عمق لأنها تسهر من النفس البشرية اعمق اغوارها .

وهي اذا كانت تعتمد في الدلالة على نفسية الموسيقي بآية ما يؤلف او يرتاح اليه من انغام . فليست هذه الدلالة واضحة وضوحها في الحان المغني . فهناك تلابس كل عاطفة بواعثها الارضية وتتحدث بلسانها . اما الحديث عنها هنا فبلغة الارواح .

وهذا ما يجعلها — على غموضها — مفهومة من البشر عموماً . لانها لا تقتصر — كالغناء — على فئة دون فئة . وان اختلف الناس في فهمها كالاطفال . واذ كان قوامها على التموج الذي هو متعة للاذن خالصة . فانها تحتل لذلك ركناً وحدها في متحف الفنون .

البحرين — ابراهيم العريض

ذكرى ابراهيم اليازجي

☆

الطرس صفق للقلم   لله هاتيك الحكم
فجاوتهـا عربية حسنـاء في النهج الاعم
يا موضحاً أسرارها   عار اذا العلم انكتم
ومنقباً في حقلهـا   تجني لنا ثمر الهمم
صنو (الحريري) العظيم لما ابتدعت من العظم
قلم يشق على الذي   يـبريه يبريه الالم
هـو قوة فوق السيوف تحكيم الحكم
قلم يشعشع (بالضياء) ونظمه (العقد) انتظم
لله وصفـك ريشة العواد بالوصف الاتم
وحنينهـا للغصن والعصفور في عود النغم
مئة مضت أعجلت فيها الموت بل عجز العدم
عن ان ينالك رغم انك انت ما بين الرمم !
يا (نجعة الرائدين) وعـبرة في كل فم
دين على لبنان ذكرك وهو لم يجحدك لم
بل كل هذا الشرق يذكر فضل علمك يا علم
فالنيل يدعم مـا اقول بل المقطم والهرم
لبنان مهما كان يجحد فهو حفـاظ الذمم
من تربه جبل الوفـاء ومن اعاليه الشمم
ما نحن لولا قوة الآداب مـا بين الامم
هذا عُلا لبنـان في   شعرائه الجبل الاشم
ان حملنـاه الى الدنيـا الى اعلى القمم
وعلى ثقافتنـا على   تلك الانامل والقلم
في كل ناحية لنـا   وطن وركزنا العلم
لو رحت أسأل دهرنا   لأجابني حالاً : نعم!!

رياض معلوف
من العصبة الاندلسية

على عتبة عام جديد

يقولون .. فلا تصدقيهم

بقلم شكري فيصل

☆

يقولون .. فلا تصدقيهم .. فما عرفنا الحياة منذ أدركنا حقيقتها على لهب الحب ، وتذوقنا حلاوتها في تفتح القلب ، وعشناها واسعة المدى سعة الزمان في ماضيه وحاضره ومستقبله ، وطوفنا بها عريضة عرض السموات والارض وأظلتنا جناحها المخضل الرطب اخضلال الورد الندي والغصن المياد .. ما عرفنا الحياة منذ أدركنا حقيقتها ، تقاس بالذي يقيسها به الناس من ساعات وأيام ، وأشهر وأعوام .. فلا تصدقيهم ، يا دنياي ، ان قالوا لك ان عاماً من عمر الدنيا يوشك ان يذوب في أمواه الزمن الخالد ، وان اثنتي عشرة دقة توشك ان تنعيه ، تنعي كل دقة فيه شهراً منه ، ثم لا يبقى الا الصدى الذي يفنيه الليل ، والشبح الذي يطرده النهار ، والذكرى التي يطاردها الواقع .. لا تصدقيهم ان قالوا ان عاماً من عمر الزمان يوشك ان يظل الارض وان يحتويها بذراعيه ، وان يمد عليها جناحيه ، وأن يعبث بها في مثل ما يشاء له القدر .. فما يكون لنا نحن ، هذه الروح التي حلت في جسدين ، ان نعيش في مثل ما يعيش عليه الناس من أوهام يصورونها ، وأحلام يخيلونها ، وصور يبدعونها ثم يعكفون عليها يعبدونها .. إن لنا ، نحن ، دنيانا في الملكوت الرحب الذي لا يحد ، وعمرنا في الأزل الفسيح الذي لا يعرف ، ومستقبلنا في الأمد العريض الذي لا يوصف .

لا تصدقيهم وتنسي هذه الأمانة التي أراد الله أن نحملها ، منذ أوحى للملائكة أن تسكب في آذاننا هذا النغم العلوي البارع ، فكان صلة ما بين قلبينا .. وأن تشع في أعماقنا هذا النور الأنيق اللامع ، فكان رباط ما بين روحينا .. وشهد النـاس هذه الصلة ، وطرق آذانهم سحر النغم ، وبهر أبصارهم تألق النور ، فانطلقوا يسمونه ويعددون له الاسماء .. فسموه تعاطفاً مرة ، وسموه حباً مرة ، ثم وجدوا أنه أقوى من التعاطف ، ومن الحب ، فسموه هوى .. وانه ، يا دنياي ، لشيء آخر فوق التعاطف ، فما التعاطف الا بعض سماته .. وفوق الحب ، فما الحب الا بعض شياته .. وفوق الهوى ، فما الهوى الا بعض سكراته .. انه هذه الوحدة المطلقة بين الروح والروح ، وبين الروح والكون .. مطلقة في الزمان لانها كانت منذ أراد الله الحياة على الارض .. ومطلقة في المكان لانها ترى في كل شيء طيفها الذي تنشده : تراه في دفقة النهر اذ يجري النهر ، وفي رفة الزهر اذ يرف الزهر .. تراه في صفحة السماء اذا ضحكت أنواؤها أو بكت ، واذا غنت نجومها أو غابت .. وتراه على وجه الارض فيما يرى الناس من أحياء وأشياء ، وظلمات وأضواء .. فما حاجتها ، هذه الوحدة ، أن تقف حيث يقف الناس ، أو تتحرك حيث يتحركون .. ما حاجتها أن تقيس الزمان ، وتحدد المكان وتأسى للعام الذي تصرم أو تفرح للعام الذي يتقدم .

لا تصدقيهم ان قالوا .. انهم يخدعون انفسهم بالذي يقولون . وما حاجتنا نحن الى خداع الناس وهم انما يؤرخون الوصال والهجر ، والقرب والبعد ، واللقاء والفراق .. ونحن في هذه الوحدة التي صاغها الله ، غنيون عن ذلك كله .. فما غابت عين عن عين ، على تنائي الديار ، ولا ند خاطر عن خاطر ، على مزعجات الحياة ، ... ولا غفلت خفقة من قلب عن خفقة من قلب على مشقات العمر ، وختل الزمان .. وانما ظل هذا النور متقداً ابداً .. تنوح الريح ولكنها تنحني له ، وتزمجر العاصفة غير انها تركد عنده ، ويمر به الموت ، فيموت امـام وقدته الموت .. لانه خالد ابدي من روح الله الخالدة السرمدية .

فاذا حدثوك ، يا دنياي ، عن العام الجديد والعـام القديم فستضحكين منهم .. انهم يتحدثون بلغة ضيقة ، عاصية ، عنيدة ، وانت تتحدثين باللغة الرحبة ، الواسعة ، العريضة .. انهم لا يدرون ما يتحدثون ، ويتهيبون مـا يقولون ، ويزورون في انفسهم ما ينوون ، وانت ، أنت ، تعرفين ما يجول في النفس وما يستتر في الضمير ، ومـا تتحدث به

ثبات

لمكسيم غوركي

☆

ها هي اغنيتي لديك . . .
ان مقاطعها الفجة الصاخبة تخفي أعز حلم لنفسي
الايمان الوحيد الذي عندي . . .
الايمان الذي يلهمني القدرة على العيش
وسنظل كذلك دائماً

***

لقد جربت الحياة كثيراً . .
كثيراً ما احدق بي الموت
وشعرت بانفاسه الباردة على وجنتي
كان يريد ان يبتلي قلبي بلمسة قارسة من الرعب .
ولكن الموت لم يستطع قتل حلمي

***

اكثر من مرة . . .
نشر الجنون اجنحته النارية يرنّق فوق رأسي
وشعرت باللهب اللافح داخل جمجمتي
ولكنه ايضاً لم يحطم حلمي

***

وكثيراً ما سمعت قهقهة الحقد من الشيطان
مستهزئاً من اخيلة الشباب
وحتى سيف الشك المرهف لم يقض على حلمي
لانه اصبح راسخاً في قلبي

بغداد — يحيى جمال الدين

القلوب حين تنبض القلوب ، لان الله حين سكب في صدرك هذا النغم ، واوقد في ضميرك هذه الشعلة ، منحك هذه الهبة المقدسة فمد في بصرك ، وكشف عن بصيرتك ، والقى بين يديك مفتاح المعرفة العميقة ، معرفة الروح ، المعرفة التي لا معرفة وراءها .

لم تصدقيهم ان قالوا لك في هذه الليلة ان ميلاد هذا الحب الذي نعيش به ، ونعيش له ، ونعيش فيه ، كان منذ اربعة اعوام . . اخطأوا يا دنياي ، اذهم لا يزالون يعيشون في اسار الاعداد وذلة الارقام . . اخطأوا . . فميلاد هذا الحب قديم ، موغل في القدم . . ان عمره عمر الحياة منذ هبطت الحياة على هذه الارض .

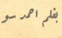
لن تصدقيهم ان قالوا لك في هذه الليلة ان ميلاد هذا الحب الذي نفتح أعيننا لنراه ، ونغمضها لنتخيله ، ونطرق لنطوف معه ، كان في هذه البقعة النيرة من دمشق . اخطأوا . . يا دنياي ، فهم لا يزالون حبيسي الزمان ، ورهن المكان . اخطأوا فلم يكن مولد هذا الحب في الارض ولكنما كان في السماء : صاغت له تاجاً من عفتها ، وألقت عليه طهراً من طهرها ، وحلته بأفضل ما في الحب من تطلع واسمى ما فيه من شوق ، وأرفع ما فيه من دوافع .

لن تصدقيهم ان تمنوا لنا ، مع هذا العام الجديد ، لقاء تفرح فيه الروح ، ويهش له القلب ، ويضحك له الضمير . . اخطأوا فما نحن وهذه التمنيات ما دمنا نلتقي ونلتقي . . في رأد الضحى ، واستواء الظهيرة ، وكهولة النهار ، ورواح الاصيل ، وهبوط الليل ، وبسمة الفجر ، واطراقة الشمس . . ما نحن وهذه التمنيات ما دمنا نلتقي ايقاظاً حين نستيقظ ، ونياماً حين ننام ، ووادعين حين يطيب لنا الهدوء والدعة . . اخطأوا يا دنياي ، فنحن نلتقي وان ظن هذا « الانسان » انه استرق نجم السماء ، فهبط به الى الارض . . انه لم يحمل معه الى الارض الا شهاباً منطفئاً . . ظل شهاب . . ونجماً بارداً . . بقايا نجم . اما ذاك النجم الذي يتقد ويلمع ، وتتراقص اضواؤه مع الليل ، حتى ينتشي مع الصبح ويغيب في نشوته العميقة طوال النهار ، ثم يعود مرة اخرى ، إثر الغروب ، الى ومضته ، ورقصته ، ونشوته . . اما ذاك النجم فأبعد من ان يطوله صياد مهما يبلغ ختله ومهارته ، ولو كانت شباكه من ذهب ! .

لم تصدقي شيئاً مما يخدع الناس به انفسهم من منى وأحلام . . انت ، يا دنياي ، حيث تريدين وأريد لك . انت في اعماقي . . فما تعلة الاعوام والاعياد ؟ ! ! .

القاهرة — شكري فيصل

قصة



بقلم احمد سويد

كانت لهثات الوادي تهب محمومة لفاحة حين اسند رأسه الى جذع مأكول لخروبة فانية ؛ وتراخت اجفانه بفتور لتلتقي ظلالها الساهمة على حواشي الافق الاغبش حيث تتراقص الذكريات ، وتلوح صور الماضي ويرف ظل السنين . في هذه المراعي الممتدة امتداد الامل كانت تنتشر مواشي ابيه .. لكأنه يسمع الآن ثغاءها ورغاءها وجلجلة الاجراس تختلط بزعيق الرعاة والحان شباباتهم ونغمات « اراغيلهم » ولكأنه يراها ، وهي تعود ، عند الغروب يضيق بها عرض المعبور ! .

وفوق تلك الرابية التي تغفو على قدميها القرية كان يقوم بيتهم ... انه لا يزال يذكر قرميده الاحمر . وابوابه الخضراء « والمصطبة » الواسعة التي تظللها شجرة السنديان !! .

تحت هذه السنديانة الهرمة كان شيوخ القرية يستديرون عند كل اصيل من أصائل الصيف ، حول ابيه ، يصغون الى « كركرة » نارجيلته ، وطقطقة مسبحته ، ويختلسون النظرات المتهيبة من شاربيه « المنقصين » يقطران إباء والى ذلك « الخال » الذي نبت في صفحه خده ، فبدا كواو مقلوبة تستظل آمنة في حمى الشاربين .. ويظلون في صمتهم حتى اذا دار عليهم . « منصور » بأكواب القهوة المرة ، فاحتسوها ، تنحنح والده ، وكأن تنحنحه إيذان ببدء الجلسة ، فاذا الحديث معالجة لشؤون الساعة .. يبدأ عن الموسم ، وسياسة القرية .. ثم يرتقي الى سياسة الدولة ويستطرد الى التاريخ وقد ينتهي بحكاية ساذجة حبكها خيال الاجداد الاقدمين عن السحر والسحرة والجن ومكر الجنيات وكيف كن يتصدين للمارة ، ويتقمصن كلاباً ، وهررة ، وانسيات !! .

... كان ابوه لا يملك القرية بكاملها ، ولكنه يحكمها .. ولا يلفظ اسمه الا مقروناً « بسيدنا » وكان « الباشا التركي » يقربه ويدنيه ؛ وهو لا ينكر ان صلاحيات والده كانت تتسع ، ونفوذه يقوى ، بقدر ما تكون « الهدية » كبيرة وثمينة ، ولكنه يعتقد ان مزايا والده المرحوم وشخصيته كان لها من التأثير على « الباشا » اضعاف ما كان للخرفان واطباق العسل وسمين الدجاج .

يتخيله الآن ممتطياً صهوة جواده الادهم ، عند كتفه بندقيته ، وعلى جانبه تتدلى «غدارته» وحسامه ، يضطجع قلقاً على حواشي « السرج » ، وفي هوى نفسه ان يقوم بجولة تفتيشية على تخوم مزرعته ... ولكن هوذا « الناطور » ينقل اليه ان ضابطاً تركياً يصحبه عشرون نفراً يتوجهون نحو القرية ، وهم الآن في فم الوادي .

ترى .. ما هي المهمة التي قدموا من اجلها ؟ انها بلا شك خطيرة .. آه لقد تذكر .. اما حدثهم « العم ابو جابر » أمسية البارحة انه امّ المدينة لشراء حوائج البيت فألفى اثمان الحاجيات فاحشة جداً ، ولما سأل عن سبب هذا التصاعد الذي لا مبرر له قيل له همساً : « انها الحرب » ! ؟؟ .

صحيح ان « العم ابو جابر » لا يثق بأقوال التجار فانهم يخترعون الاسباب ويستنبطون الحيل في سبيل الحصول على ربح اوفر ، ولكنه سمع بأذنيه باعة الصحف تجلجل اصواتهم : « اليوم تخوض تركيا الحرب الى جانب الالمان » الخ ما هنالك من عناوين كتبت بالخط العريض !! .

... انه سيد القرية وممثل الدولة السنية فيها ، ورغم انه امي فجميع المراجعات الحكومية تتعلق به فهو قاضي صلح يفصل في دعاوى القرية وخصومات المزارعين ومشاكلهم ، وهو « دائرة نفوس » يسجل المواليد ويحصي الوفيات ، وهو فوق ذلك يجمع الضرائب ليقدمها الى صندوق الدولة .

ذكر كل ذلك فترجل ، وتوجه الى دكته تحت السنديانة يطرح نظراته الفاترة على تلك الغيمات الخفيفات تلفع قمة الجبل ، وكان بين الفينة والفينة ينتفض كمن اخترق سجف الغيب واستشف سره فهاله حدث اسود يحمله على كفه الجبار ! .

لقد سمعه يتنهد بعمق وقرأ في عينيه انه يحاول ان يطرد فكرة شريرة نزلت « عنوة » في باحة خاطره حين اقتربت كوكبة الفرسان وخف « منصور » ليمسك بزمام جواد الضابط !! .

يا لله ... كم يرف قلبه مسرعاً كجناحي فراشة مدفوعة كلما تخيل وجه ابيه المربد ورن صوته النحاسي المتهدج من وراء العدم يقول للضابط بعد ان استقر به وبجنوده المقام : « خير انشاء الله يا افندم » فيجيبه «الافندم» بلهجة فيها صرامة الآمر وجبروت الجندي ورطانة التركي : «هذه لائحة باسماء خمسين رجلاً من القرية وقعت عليهم القرعة وأمرت ان اقودهم الى المعسكر ليلتحقوا بالجيش » — ... « لا ، لا ، لن يكون ذلك

يا حضرة الضابط ، لن اقدم شباب القرية قرابين على مذبح الحرية فان امهاتهم لم يلدنهم ليكونوا فدية العرش وضحايا السلطان » . . .

قالها ابوه ولم تتشنج أعصابه ، ولم تتقطع نبراته ، ولم ترهبه تلك النظرات يرجمه بها الضابط وفيها معنى الصاعقة : وعنف الاعصار ! .

يا لهولها من ساعة ! كل ما يذكر منها انه فتح عينيه على امه تضمه الى صدرهـا معولة ، بينما كان أثاث البيت مبعثراً محطماً ، وبينما كان ابوه المصفد — وقد شج رأسه وضرج الدم وجهه وشاربيه — يسير مطرقاً في طليعة قافلة سلطت عليها البنادق ، وحفت بها الحراب اللماعة ! ! . ومنذ ذلك الحين كان كلما سأل امه عن ابيه ، خبأت وجهها بكفيها وقذفت أنة مسعورة بللها الدمع ، ثم تمتمت : « آه انه لن يرجع . . . انه لن يرجع » .

. . . وانتفض « حامد » حين احس بشيء ثقيل يرطم يافوخه . انها حصاة قذفتها يمين راع ينتهر قطيعه : « لا بأس ان الالم المادي لأخف وطأة على النفس الانسانية من ألم الوجدان . ولعل العناية ارادت ان تفصلني عن الماضي وتقطع ذلك الشريط تتتالى صوره وتتناسخ في خاطري فلا تكون الا صوراً كالحة سوداء يكشر فيها الشقاء ، ولا اتبين منها سوى عبسة الاقدار ! ! .

. . . وراحت انامله الواهية المرتجفة تتحسس صلعته التي كانت تحترق اذ تلحسهـا ألسنة الشمس السليطة ، وتململ ليجفو متكأه الخشن ، وليلقي برأسه المثقل فوق صخرة غمرها الظل . . . وسرعان ما انزلق بصره القاتم على اطراف الافق اللامتناهي وسرعان ما لفه الشرود ليصله ثانية بماضيه !

كان يزهو في وجنتيه خمسة عشر ربيعاً عندما قفل ذات مساء من « كرم التين » وهو كل مـــا تبقى له من املاك ابيه . تلك الاملاك التي استبدل بها — يعلم الله — عصارة ربع قرن من النصب والعمل ، نثر سنيه في الغربة ، ونثر معها فتات قلبه واشعاعات عزمه ، وما كاد يطل على الكوخ الذي آوى كل ذكرياته ، واسر الى ظلمته كل آهاته ، حتى راعه ازدحام الناس فيه ، وصيحات الهلع تتصاعد من زواياه .

. . . لقد ماتت امه بسكتة قلبية . ولقد كان شعوره يومذاك شعور الفرخ لم ينبت زغبه بعد ، تحرمه قسوة الصيـــاد حنو الام ودفء الجناح ! .

يا لظلم التصاريف !! من بيت سامي الذرى ينسل الى كوخ ، ومن سدة السيادة يهوي الى ذل اليتم وحقارة الاملاق ؟ . . والله يعلم ، ويعلم اهل القرية ان أباه لم يكن اقطاعياً ينتزع اللقمة من بين مواضع الزراع ، ولم يكن « نمروداً » يتعـــالى بطينته عن منابت الناس ! ! .

. . . وهوم النسيان بجناحيه على احزانه ، ولفها ، لتشب في ساعات التأمل ذكريات أليمة جارحة تنفض عن وجهها رماد الليالي وهباء الايام . . وعاش « حامد » غريباً لا ينسى غربته الا اذا ضمه الكوخ ، واحتضنه الليل وساهرته الاشباح الى ان كان يوم . . .

كـــأنه الآن في هذه الهنيهة يعيش ذلك اليوم الذي يقفز الى وعيه بكبر وادعاء ، كلما استعرض ايامه واجتر مـــاضيه ! ! يوم استفاق على قصف المدافع وهدير الطائرات وعلى صوت من وراء الغيب يهيب به « الى ميسلون » .

وداعاً يا كرم التين ، يا ارثي المقدس . . وانت يا كوخي الحقير . . وداعاً .

هناك في ميسلون تترس الحق الاعزل بأجساد عبّاده ، وجابه اللحم النبيل ، الحديد الكافر ؛ وهناك تمنى « حامد » لو يرافق القوافل الى حيث يمسي الابطال نكرات يعرفهم ضريح تسجد امامه الاجيال ، وتنحني العصور لانه ضم رفات « الجندي المجهول » ولكن القدر ، آه من القدر أبى الا ان تتم المأساة ! ! .

لقد حملوه حين بسطت الانسانية يدهـــا الراجفة لتجمع بقايا المعركة وحصاد الصراع ، حملوه شلواً يتردد في زوايا صدره نفس خافت كتمتمة الباقية ولما استفاق احس بجبروت الشباب يتنزى من جنبه فحاول ان يثب ، وفي نفسه ان يعود الى ساحة الشرف يتوسد ثراها الذي روّاه دم الضحايا ، ولكن . . آه انه مشلول . . لقد خرّق الرصاص الجاني فخذه وحطم ساقه فما يستطيع السير ، ولا يقوى على الجلاد !! الا ليتهم يحملونه الى « ميسلون » ليثوي هنالك او ، ليتهم يعيدون اليه بندقيته الحبيبة التي باع « كرم التين » ليشتريها .

. . . وانتفض « حامد » ليطمس بالوعي كل هذه الصور التي مر عليها من السنوات عشر كالحات ! ! يا لشقاء : لا الاماني الخضر ترف هفهافة على آفاقه ، ولا الاحلام العذراء تنسل ميـــاسة الى خلواته ، ولا بهج الحياة تلوح مع خطراته فكأنه تمثال من الصلب نهشه ازميل نحات عقه الفن ولم يتقطر عليه الهام السماء ، فانزوى بعيداً عن معابر العصور ومسايل الزمن يغط في احضان النسيان ! .

قلق ، يعربد في كيانه اعصار أبدي يعنف تارة ليغرق جوانحه بهباء السنين ، ويستكين اخرى ليطوي خافقه على اشلاء الرجاء . جاحد كفر بذلك الحرف الجامد الذي لفظته الحياة على صخور

المذاهب الاقتصادية

بقلم عاكف عسيران

☆

قبل ان نتطرق الى بحث مذهب الاقتصاديين الطبيعيين الذين وضعوا الحجر الاساسي لعلم الاقتصاد الحديث يجمل بنا ان نلقي نظرة عجلى على اهمية دراسة المذاهب الاقتصادية من الناحية العلمية . ان دراسة تاريخ المذاهب الاقتصادية دراسة نظرية بحتة تبعدنا عن دراسة الوقائع الاقتصادية ، أليس من الاجدر ان نبادر حالاً الى دراسة الوقائع الاقتصادية كالعمال والملكية والاجور والفائدة وتطورها التاريخي بدلاً من دراسة تطور المذاهب الاقتصادية التي تبحث بحثاً عقلياً مجرداً يدور الجدل فيه بين العلماء وتدخل في عالم الفكر النظري . تلك حجة بعض العلماء الذين يعارضون دراسة المذاهب الاقتصادية ، ولكن أليس للجدل الاقتصادي علاقة بالوقائع الاقتصادية ، وهل علماء الاقتصاد قوم حلقوا باجنحة الخيال دون ان يربطوا هذا الجدل النظري بالواقع المحسوس كما تربط الطيارة الورقية الى يد الطفل . ان المذاهب الاقتصادية مربوطة دائماً بالوقائع خلافاً لما يدعيه بعض العلماء ، ولذلك يجمل دراسة هذه المذاهب لان دراستها ذات فائدة مزدوجة تشرح لنا تطور الوقائع والمذاهب معاً وتجعل من هذا الاستعراض التاريخي الواقعي المذهبي درساً ناجعاً غير عقيم .

لقد قلنا ان الوقائع الاقتصادية هي سبب المذاهب الاقتصادية والباعث الاول على انشائها كالمذاهب التي تفسر نشوء الملكية والفائدة ومبرراتها . غير ان المذاهب قد تكون بنفسها سبباً لبعث الوقائع وانشائها وبذلك تصبح الوقائع نتيجة لبعض المذاهب بعد ان كانت سبباً لها . فالماركسيه مثلاً مذهب اقتصادي واسع النطاق لعب دوراً هاماً في التاريخ وكان باعثاً لكثير من الوقائع التي لم يسبق ان مثلت يوماً على مسرح الحياة الاقتصادية . وقد يكون المذهب نفسه على قسمين : منه ما هو نتيجة للوقائع السابقة ومنه ما تكون الوقائع نتيجة له .

اضف الى ان دراسة المذاهب الاقتصادية تبين للانسان الجهود التي ساهمت في بناء علم الاقتصاد الحديث خلال التاريخ . ان هذا البناء الضخم كسبته الاجيال بعرق الجبين ، ولا نستطيع ان نقدر ما قاساه العلماء والمفكرون في استنباط هذا العلم وتدوينه على

نقمتها فتحطم وكان يريده ان يحطمها بارادة العملاق ونقمة المارد! منبوذ كبوذي نجس لا يطهره حتى دم البقرة ! !.

لفظته الحياة ولفظه العدم ، فاذا هو في المنطقة الحرام حي وليس بالحي ، وميت وليس بالميت ! !.

. . . ومد « حامد » بصره يسرحه في المراعي الممتدة حيث كانت تسرح مواشي ابيه ، وتسلقت عيناه الرابية حيث كان يقوم « بيتهم » ذو القرميد الاحمر والابواب الخضراء ، وفتش في زحمة البيوت عن كوخه ولكنه لم يجد « كوخه الحبيب » فأسبل اهدابه على دمعة اكبر من الالم ، وانسلت من لهاته آهة حمراء فيها من قلبه فتات ، ومن نفسه شواظ .

وتساحب « حامد » تساحب الحياة في عروق المطعون ، وسار تحمله عصاه الى القرية التي نسي اهلها اسمه وملامحه ، ليطرق ابوابها بانكسار وذلة ، وليسأل ناسها زاد يومه ، وحفرة متواضعة يتخذها « كوخه الاخير » تنطفىء فيها آخر لهثة من لهثات القنديل .

احمد سويد

وجه المعروف حديثاً الا اذا تتبعنا خطواتهم في خطئها وصوابها ، في مرها وحلوها لنعتاد البحث العقلي ونمارس صعوبة الحياة العلمية وتعقيدها ، فضلاً على ان هذا الجهد سيؤثر على عمق وقيمة فهمنا لعلم الاقتصاد وتقديرنا لقوانينه .

ان الاقتصاديين الطبيعيين فئة من علماء الاقتصاد برزت الى الوجود في اواخر القرن الثامن عشر واثبتت نفسها كمدرسة اقتصادية تبحث في الظواهر الاقتصادية وتسعى وراء ان تجعل من الاقتصاد السياسي علماً مستقلاً واضحاً .

كان علم الاقتصاد السياسي او علم الاقتصاد في اواخر القرن الثامن عشر ممزوجاً بغيره من العلوم ، ولم تكن له شخصية مستقلة محدودة المعالم . فهو اشبه بعلم السياسة اليوم لانه كان عبارة عن دراسة الطرق الفعالة لحفظ مالية الدولة والبلاد والحكومة ، والوسائل الناجعة المؤدية لرفاه الشعب وحفظ ثروته . ان علم الاقتصاد امتزج بالسياسة وكان فرعاً منها ، واكسبته هذه الصفة « السياسي » التي ظلت مقترنة به مع ما هو واضح من ان الاجدر ان يسمى « علم الاقتصاد » . لقد دار البحث قبل الاقتصاديين الطبيعيين عن وسائل حفظ اقتصاديات الدولة فاقترح التجاريون زيادة الاصدار على الاستيراد من البضائع والسعي لاستيراد المعادن الثمينة كالذهب والفضة . وقال الطوبائيون الخياليون اجداد الاشتراكيين الاولين ان على الدولة تحريم الملكية وتوزيع الملكية الضخمة على الشعب فتزيد الرفاه الاجتماعي ويهبط مستوى المعيشة .

بين هذه التيارات المختلفة في فهم علم الاقتصاد قام الاقتصاديون الطبيعيون ينادون بوجود قوانين طبيعية تنظم الحياة الاقتصادية . فأصدر الدكتور كسناي Quesnay مؤلفاً كان ثورة على النظريات والافكار المعاصرة ووضع الحجر الاساسي لعلم الاقتصاد الحديث ، ثم تبعته فئة من العلماء كانت تؤيده وتحذو اثره فتشكلت مدرسة اقتصادية توالت مؤلفاتها مدة عشرين سنة وضعت فيها الخطوط العامة لنظرياتها ومفاهيمها الاقتصادية في اواخر القرن الثامن عشر بفرنسا ، ثم رسمت لنفسها على اساس هذه النظريات سياسة اقتصادية تأثر بها ساسة العصر وحكامه واخذت تناصرها الطبقات العليا في كثير من دول اوروبا . وسنشرع بدراسة هذه النظريات العامة ثم ندرس السياسة الاقتصادية المنبثقة عن الجهاز النظري الاساسي .

النظريات العامة : النظام الطبيعي L'ordre naturel

تقوم الاسس النظرية للمذهب الاقتصادي الطبيعي على ثلاثة مفاهيم : النظام الطبيعي والناتج الصافي ودورة الثروة ، وسأحاول تفصيل فكرة النظام الطبيعي عندهم .

ماذا نفهم بعبارة النظام الطبيعي ؟ هي بلاشك عكس النظام الاجتماعي المصنوع الذي اوجده الناس وحاكه البشر . هذا التفسير السلبي لا يسمن ولا يغني من جوع لانه عرضة للابهام والغموض ويفسح المجال للشبهات . هل قصد الطبيعيون ان الانسان افسد النظام الطبيعي بحياته المدنية فيجب ان يعود كما كان سابقاً يعيش مع الحيوان في البراري يأكل العشب ويسكن الكهوف ويتمتع بالحرية الاصلية . ان هناك بعض النصوص في مؤلفات الاقتصاديين الطبيعيين تشير الى هذا المعنى . كذلك تؤيد هذا المفهوم كتابات الادباء في القرن الثامن عشر اذ كان الاتجاه يبعث على تذوق الطبيعة ويلح بالرجوع الى حياة الانسان الاول .

غير ان الذين قاموا بهذه الدعوة للمذهب الطبيعي كانوا مدنيين في اعلى مراتب التنظيم الاجتماعي والحياة المركبة المتناسقة فهم القضاة والحكام والمحامون والاطباء وغيرهم من الشخصيات التي لا يعقل ان تنحو هذا المنحى وتتجه هذا الاتجاه . اضف الى ذلك ان الاقتصاديين الطبيعيين لم تفارق شفاههم كلمات الملكية والامن والحرية والنظام ، اذ انهم لا يفتأون يرددون هذه العبارات الرنانة كمن به مس لشدة تعلقهم بها واعتبارها اساساً للنظام الطبيعي المنشود .

فما هو هذا النظام الطبيعي اذن ؟ وما هي هذه القوانين التي يتغنون بها ويترنمون بسموها على القوانين الاخرى ؟ قال بعض العلماء ان الطبيعيين بالرغم من قولهم ان الحياة الاقتصادية تخضع لقوانين طبيعية لا يدركون حقيقة هذه العبارة كما يدركها العلماء المعاصرون الجبريون Déterministes . فالقوانين عندهم ليست علاقة جبرية بين ظاهرتين كما هو مفهوم القانون الطبيعي في العلم الحديث . ان للقانون الطبيعي او للنظام الطبيعي عندهم صفة آمرة كالقانون التشريعي ، فالله هو الذي وضع القوانين الطبيعية وأمر بها كما يضع المشرع القوانين الاجتماعية التشريعية ويأمر بتنفيذها . ان القانون الطبيعي في نظرهم قانون موضوع من لدن حكيم عليم ولقد وضع لمصلحة البشر وهو نافع يجب ان يسعى الانسان جهده للائتمام والسير تحت ظله لتدوم سعادته ورضاؤه . الوضع والنفع صفتان

لازمتان للنظام الطبيعي تجعله يختلف اختلافاً بيناً عن القانون العلمي ولكن لا تفقده اهميته كخطوة اولى وكأساس تمهيدي لعلم سيبلغ رشده بعد عهد مديد .

لقد تبع هذه النظرة للنظام الطبيعي نتائج عملية عظيمة الاهمية لان الذي ينادي بالرجوع الى القانون الطبيعي يهيب بالذين يقيدون الحريات ان يكسروا الاغلال ويتركوا الطبيعة تعمل لسعادة الانسان ورفاهيته . لقد نادى الاقتصاديون الطبيعيون Physiocrates بصوت جهوري : « دعوا الامور تجري في مجاريها وطبائعها ولا تعرقلوا مسير القوانين الطبيعية . » ان سياسة الحرية في الحياة الاقتصادية خطوة جريئة في ذلك العصر الذي تشابكت فيه القيود حتى اصبحت عائقاً كبيراً لتبادل البضائع في داخل الدولة وخارجها . ويكفي للاقتصاديين فخراً انهم نادوا بهذه الحرية المقيدة واطلقوا المحبوسة وفقاً للنظام الطبيعي .

الناتج الصافي Le produit net

يعتقد الطبيعيون Physiocrates ان المجتمع ينقسم الى قسمين : طبقة منتجة قوامها الذين ينتمون الى الزراعة والارض وطبقته عقيمة قوامها الصناعيون والتجار والخدم والمهن الحرة . ويمكن تعليل سبب هذا التصنيف والتفضيل انهم فهموا الانتاج والقيمة La production et la valeur فهماً خاصاً لا يشاركهم به العلم الاقتصادي الحديث . اما الانتاج في نظر الطبيعيين هو خلق الاشياء مادة ، ولا شيء يخلق الاشياء بمادتها الا الارض والزراعة والمالكون ، فالفلاحون هم وحدهم طبقة منتجة لانها سبب خلق الثروة في الدولة . اما المهن الباقية فهي لا تخلق شيئاً ولا مادة بل تنقل الملكية كالتجارة او تغير مكان الاشياء كصناعة النقل والمواصلات او تبدل الشكل كسائر الصناعات التحويلية او تؤدي الخدمات كالمهن الحرة والخدم .

بعد هذا الشرح الوجيز عن مفهوم الانتاج والقيمة والطبقات ننتقل الى فكرة الناتج الصافي . ما هو الناتج الصافي ؟ هو المحصول الذي يبقى بعد تسديد نفقات الانتاج . ان الزراعة وحدها تحصل ناتجاً صافياً سنوياً . يفرض الطبيعيون ان انتاج الدولة من المحصولات كان خمسة مليارات فرنك فيحسم منها ملياران نفقات معيشة للفلاحين وبذار وسماد وسقي وغير ذلك فيبقى ثلاثة مليارات ناتجاً صافياً يوزع وفقاً للنظام الطبيعي على الطبقات الاجتماعية كما سيأتي البيان .

دورة الثروة Circulation de la richesse

ما دام الانتاج الزراعي هو وحده الانتاج الحقيقي فكيف يتوزع على الطبقات ووفقاً لأي القوانين والمبادئ . يتناول كل منها دخله . ان دورة الثروة اي انتاج الاموال وتوزيعها على الطبقات الاجتماعية هو موضوع جليل الفائدة يحاول الطبيعيون ان يجلوا غوامضه ويكشفوا اسراره . قال الطبيعيون ان دوران الثروة في جسم المجتمع كدوران الدم في جسم الانسان والاحياء يخرج من القلب ليعود اليه ، وفي هذه الدورة نظام طبيعي يحيا به المجتمع كما يحيا ويستمر الحي بدورته الدموية . وقد شرح عملية التوزيع رئيس المذهب الاقتصادي الطبيعي الدكتور Quesnay في بيانه الاقتصادي Tableau économique فقال ان الدولة التي تنتج زراعتها مقدار خمسة مليارات فرنك يذهب منها ملياران للفلاحين كما اسلفنا ويبقى ثلاثة مليارات يذهب منها اثنين لاصحاب الاملاك وهم الملاكون والدولة بمفهومها الاقطاعي féodal لقاء استعمال الارض واستثمارها ، والمليار الاخير تستعمله لشراء البضائع المصنوعة من الصناعيين كالاحذية والثياب . ويشتري الصناعيون من الفلاحين محصولات لمعيشتهم بما حصلوه من الملاكين وما قبضوه من الفلاحين . ينجم عن هذا البيان ان الثروة التي ينتجها الفلاحون تعود اليهم بعد التوزيع وتستمر الدورة على هذا المنوال الذي يؤمن للمجتمع حياته وخيره . لقد اقتنع الطبيعيون بتصويرهم البسيط لدورة الثروة في المجتمع ولكن خفيت عليهم حقيقة الانتاج وتوزيعه كما سنبينه في غير هذا المجال ، ولم يدر بخلدهم ان الحياة الاقتصادية والانتاج والتوزيع امور معقدة خلافاً لوضعهم البسيط الخيالي . واعظم فضل لهم انهم رأوا بثاقب فكرهم ان الحياة الاقتصادية خاضعة لنظام وقوانين في الانتاج والتوزيع وسائر فروع ونشاط الاقتصاد الانساني . اننا مدينون لهم باساس علم الاقتصاد ، او بالاحرى بالدوافع التي حفزت العلماء لتوطيد علم الاقتصاد على اسس من الثبات والاستقرار ، نعم اننا مدينون للاقتصاديين الطبيعيين بان هناك قوانين ثابتة في الحياة الاقتصادية ولو انهم اخطأوا في وضعها وتصويرها . لقد اشاروا الى الصراط المستقيم فشقها العلماء عن بعدهم وعبدوها .

بغداد عاكف عبدالله ـ المحامي

بلبلي

☆

بلبلي غن ، سئمتُ الصمت ، من روحك غنّ
نغمةً تسكر نفسي ، فتعي الاكوان أذني

***

غض أطياب غريق منك في ألوان حسنٍ
سابحٌ في الشمس في الانجم في وعد أغن
سكرت فيّ صلاة الشوق فاستروح دنّي
أنا ظمآن ، انا حيران في غمرة ظن
أنا من حسنك آهات تصابٍ وتغن
دربي الشوك فرفه بالشذى نفسي وعدني
يا متى جن سؤالي عنك يا روح وعني

***

أنت من حبي وكرهي ، انت من حرصي ومني
حسنك الملهم صنو السحر من اصداء عدن
لمعت حواء في عينيك تصبو وتغني
فازح عن نفسك الستر أهوّم فيك لحني

***

فاذا انت سنا حلم وتلماعات ذهن
لا تعابث راحتي أنويك إشراقاً لفنّي
صورة مثلى على نسيان ماض مطمئن
عبدت بي في شراع من ذهول وتمن
فاذا نحن لدى المجهول ألحان مُرنّ
واذا الدنيا ظلال منك يا حلو ومني

درعا — سوريا

علي محمد شاش



عاشقة الليل

الآنسة نازك الملائكة – ٢٦٠ صفحة – مطبعة الزمان – بغداد

الظاهرة البارزة في عهدنا الحاضر ، عهد ما بعد الحرب ، هي طغيان النثر على الشعر في ميادين النشاط الادبي ، حتى لتجد ان الشعراء انفسهم ، الذين عرفوا بمواهبهم الشعرية فيما قدموا من انتاج سابق ، قد انقسموا الى فئتين : الاولى وقفت عن الانتاج ، والثانية هجرت الشعر الى النثر ! .

ولا تقتصر هذه الظاهرة على الشرق العربي ، وانما هي عامة شاملة في سائر انحاء العالم شرقيه وغربيه . اما سرها او مغزاها ، فانه يكمن في روح هذه المدنية التي وقفت بالناس على شفير الهاوية ، وتركتهم ساغبين ظامئين الى كل نبيل وخير وجميل ، بعد ان سلبتهم ما فيهم من نور وخير وجمال ، وأوصدت دونهم ابواب السماوات الحرة النقية فلا يتنشقون منها الهواء النقي الطليق .

ولكن هذه الغمرة الخانقة تنجلي بين حين وآخر عن نفثات شعرية ، هي تعبير عن « الكرب » الذي تعانيه الانسانية تحت وطأة المدنية الراهنة . فقد تعجب ان تنال جائزة نوبل للآداب عن عام ١٩٤٦ ، شاعرة هي في أعمق هوة من العذاب الانساني ، وفي اعلى ذروة من التعبير عن العذاب الانساني ، الا وهي الآنسة غبريلا ميسترال ! تعجب ان يكون في عهدنا الحاضر مثل هذه الشاعرة ، فاذا فكرت قليلاً تجد ان الشاعرية الحق في المرحلة الراهنة من تاريخ البشرية ، لا تكون كذلك الا حين تنغمس في «الالم» الحار المحرق الذي يذيب الشمس وما تنير الشمس من اكوان .

واذا ذاك يزول العجب ، فما في حياة الانسانية اليوم ، في هذه الحياة وفي هذه الانسانية ، ما يسمح للخاطر ان يشرق بالفرح ، او يسمح للفرح ، ان يومض ، ولو اماضة ضئيلة ، في خاطر انسان ! .

بيد ان نقطة المركز من دائرة العذاب الانساني هي هنا ، في الشرق ، في الامة العربية ، فهذه امة تألبت عليها الآلام من كل حدب وصوب ، وتناوشتها الاحداث من ماض وحاضر ، وفتكت بها الخطوب من الداخل والخارج ، وانصبت عليها الارزاء انصباب السيول الجارفة الماحقة فلا يجد فيها الفرد سبيلاً الى هدوء ، ولا طريقاً الى امل ، ولا وسيلة للعزاء ، ولا مطمحاً الى سعادة ، الا ان يكون « بطلاً » من ابطال النضال ، يتمرس بالحياة . لا لانها حياة ، بل ليموت مستشهداً ، دون ان يُطعم من دنياه غير المرارة والحرمان والتعاسة والآهات والحسرات .

في هذا الجو ، في هذه النقطة من دائرة العذاب ، نشأت الشاعرة الآنسة « نازك الملائكة » مؤلفة ديوان « عاشقة الليل » وهي ذات حساسية مرهفة ، تلتقط ما يجول في الآفاق من نسمات ، وتتأثر بكل ما يجري على صفحة الوجود من حركات ، فكان ان أظلم الكون من حولها ، ونفذت الكآبة الى روحها ، حيث استقرت هناك تقوم بها وتقعد في عالم متخبط مضطرب ، لا يستطيع ان يستنقذها ولا هو قادر ان ينقذ نفسه .

على ان الرواية التي تجري فصولها في هذه الروح ، دون ان يدري بها احد ، تبلغ من العمق والطرافة ما لا قبل لاحد بتصوره ، الا حين يتتبع « الشاعرية النسائية » في مختلف قواها وبواعثها وعناصرها وغاياتها .

فهذه « مارسلين » الشاعرة الافرنسية الشهيرة تبكي كاتبكي الآنسة نازك ، وترسل الآهة تلو الآهة . كما تتأوه « عاشقة الليل » ولكننا ندرك ، بعد قليل من البحث ، ان الحب المخفق والفاقة المريرة ، هما سر تلك الكآبة الشعرية .

وهذه هي « الكونتس ده نواي » تتألم وتنوح ، وتملأ اشعارها الآفاق بالالم والنواح ، وما ذلك الا لانها لا تستطيع نسيان الموت ، فقد فقدت عزيزاً ، وتدفقت قريحتها بالشعر الحزين ! .

بل هذه هي « غبريلا ميسترال » التي ذكرتها منذ قليل ، فانها في قرارة كآبتها المظلمة الحاوية ، تنعي للناس حبيبها الذي انتحر من اجلها ، وما حزنها وشاعريتها الا تأبيناً له .

اما عند الآنسة نازك فان بواعث الكآبة التي تتجلى في كل بيت من ابيات ديوانها هذا ، ليست في الحرمان ، ولا في الحب الضائع ، ولا في فكرة الموت ، وانما هو « حزن فكري » نشأ عن تفكير في الحياة والموت من جهة ، وتأمل في احوال الانسانية من جهة ثانية ، ثم انتقلت هذه الملاحظات والتأملات الى صعيد

الحس ، فحفرت في « القلب » جروحاً لا تندمل ، واخذت من بعد ذاك تتدفق آهات واحزاناً . وتلك هي رواية شاعريتها .

وذلك لان هذه الشاعرة محاطة بجو من العطف العائلي يكاد يكون نادراً عند أسر الشرق، ثم انها تملك من وسائل الثقافة ما لا يتاح لغيرها ، وقد عملت على اتقان عدة لغات اجنبية فهي بارعة في الانكليزية ، مطلعة على الافرنسية ، وتحسن الالمانية ولا تجهلها اللاتينية . يضاف الى ذلك سعة في اطلاعها على التاريخ العربي ، أظن انها تنقص الكثير من مثقفينا القوميين .

هذه الثقافة لم تكن الا لتزيد في احزانها، لتطلعها على «الآلام» التي مر بها الناس ولا يزالون يمرون بها . ولكنها كشاعرة تقف على منحدر خطر ، والخطر لا يتمثل في ضعف بيانها ، ولا في اضطراب الصور الشعرية التي تعرضها ، ولا في تفكك الوحدة ببعض قصائدها ولا في انعدام الموسيقى لديها في كثير من الاوزان ، فهذه « عيوب » يلمسها كل ناقد ، ولكنها قابلة كلها لان تصلح مع المران والتنبه والاستفادة من الملاحظات ، وانما الخطر على شاعريتها قائم في طبيعة هذه الشاعرية ذاتها .

تأمل فتاة وقعت في ازمة نفسية من جراء تفكيرها في الموت والحياة ، فهي لن توفق الى ايجاد حل لهذه الازمة التي استعصت على أبي العلاء المعري كما استعصت على شوبنهور وتولستوي . ولكن الاول حملها واعمل عقله فيها واستمر يناضل بفكره اذ لم تؤثر على اعصابه ، وكذلك الثاني والثالث . ولكنها عند الفتاة ، عند اي فتاة ، تنتقل الى عالم الشعور ، ثم لا تخرج منه ابداً ، ولذلك ، نجد هذا « التكرار » الممل في صورها وأخيلتها ومعانيها . والتكرار لعنة كل اديب ذي رسالة شعرية . فالخطر قائم او ماثل في هذه الازمة النفسية ، فعلى مدى توفيقها في حل هذه الازمة يتوقف مصير ابداعها الشعري .

على ان هذا النوع من الشعر الحزين ينطوي على فضائل كثيرة ، اشير الى بعضها ، والى اهمها . واهمها انه يخلق في قارئه ضرباً من « الصفاء الذهني » بما يثير من صور وأخيلة جذابة للهدوء . فاذا قرأت قصيدة « الغروب » وقصيدة « عاشقة الليل » احسست ضرورة بصفاء لا مثيل له .

ويثير الى جانب الصفاء في الذهن ، روح « الطهارة » في القلب والنفس ، لانه وهو يعرض الاحزان والاشجان ويقدمها لك ملونة بالحقد حيناً ، والحماسة حيناً ، والانفعال المرير حيناً ، يردك الى حالة اخيرة لا لون لها من العاطفة غير النقاء ، نقاء السريرة والحدب على الانسانية الضعيفة المسكينة ، ويريك تفاهة هذه الدنيا بمن عليها وبما عليها . إقرأ قصيدة « بين فكي الموت » و « ثورة على الشمس » .

والديوان ، بعد كل حساب ، محاولات موفقة في التعبير عن حالات نفسية متشابهة ينقصها روعة البيان وجزالة اللفظ وقوة السبك الا انه يبشر بمستقبل اعتقد انه باهر ! .

عبد اللطيف شراره

نار ونور

للاستاذ محمد مجذوب — ١٥٨ صفحة — المكتبة الكبرى — دمشق

ديوان شعري ، تخيره من نظمه الشاعر الموهوب الاستاذ محمد المجذوب ، فكان من جذوة الفؤاد عاطفة مشبوبة ، وكان من وقدة الفكر نوراً وبصيرة ، وهو من مجرى حياته كأزهار الاودية وادواحها الباسقة ، وما كانت حياته غير حياة العصامي ، الشاعر ، تذوب حشاشته ويصبر للنازلة ، :

ولقد يتاح لي الرضا لو انني   استطيع مثل سواي خفض ابائي .

ولكن التماثيل الجوفاء المستكبرة تأبى عليه اباءه وعصاميته :

اغاظهم اني شققت الى العلا   سبيلي عصامياً فكان لي السبق
واني حباني الله فكراً وعزة   وقلباً لسحر الشعر من نبعه دفق

فهو يأبى الدانية ، وتعلو به الهمة المتوثبة ، وهو يتطلع الى امته العربية وأخلاقها ، وتاريخها الرائع المجيد ، بعين الفتى العصامي ، والاستاذ المربي ، والناقد البصير ، والصحفي القدير والباحث عن سعادة الانسانية ، ونهضة الامة المرجوة ، فاسمعه في همزيته قائلاً :

ولمَ التناكر في الخلائق لو درى   كل بفريته على الغبراء
ولمَ التناحر بين ركب سفينة   قذف القضاء بها خضم فناء
أقصر طبيب فما علاجك بالمعيد ،   مني الحياة الى صريع قضاء
هبك المسيح : وفي يديك لي الشفاء ،   فما لنفسي حاجة بشفاء ...

واذا اعجبك ما اعجب الشاعر الفحل صاحب المقدمة في هذا الديوان : الاستاذ الكبير بدوي الجبل فرددت قصيدته « نجوى قبرة » وسموت بروحك في جو الانسانية الرفيع حين تخاطب القبرة الحذرة بلسان الشاعر القائل :

أحذراً ، وفي جنبي يا طير للورى
وللطير دنيا من رؤى الحب والشعر
حنانك بعض الظن إثم ، فما أنا
ودنيا الورى ، الا الغريب مع السفر

حنانك : لست المرء يطلب يسره
بآلام مخلوق سواه ، على عسري

سلي خفقات النجم ، . . سلي عرف هاتيك الازاهير . ، سلي الوادي النشوان . . .

سليها ، فمن قلبي على كل نفحة … بها اثر يروي المكتّم من سري
سلي عن أغانيّ الحياة فلم يزل … بمسمعها رجع من النغم البكر
لئن أخفقتها قسوة الدهر فترة … لفي النفس لحن عزّ عن قسوة الدهر
فقد يخرس الطير الحبيس وملؤه … حنين يهز الروح للافق الحر . .

فانك ايها القارى الكريم ، ان رددت ذلك مع شاعره ، فلن تبلغ منه مبلغ ما في نفسة وهو المستهل ديوانه بقوله : في النفس شعر كثير . . . يضيق عنه بياني .

واذا عرف الشعر اغراضه الفنية ، في هذا الديوان ، في مثل هذه القصيدة ، وما ترصعت به القصائد جميعاً ، بمثل النجم في قبتها الزرقاء الصافية ، واذا جرى مع ابن الرومي في عاطفته وسما عليه بهمته وشممه ، فغالب البؤس بشؤمه ، وكانت له السخرية الضاحكة ، ووقف مع المعرّي في ربى الخلد من سمو الفكرة والعاطفة المشبوبة ، واذا اخذ بحظ من مدائح البحتري وابي تمام الجزلة ، بعيداً عن تكلف الصناعة ، وهو لم يستهدف غير تقدير ما اطلق لسانه بمدحه اذ هز مشاعره ، واذا رأيت في الديوان ذلك جميعاً ، فانك تعرف انه ديوان شاعر عصره ، وذلك بنازعه الفلسفية ، وما تلهمه ثقافته في مواطن تأملاته ومناجاته وشكواه وآلامه ، كما تعرفه باغراضه الاجتماعية ، وقصائده الوطنية الرائعة ، وهي من طبيعة هذا العصر ادق مزاياه مثل « سينيته بعنوان ثورة » :

فاذا الظالمون في لجة الحلم … خيال بعد الحقيقة قاسي

وهو فيها جميعاً مخلص الرأي والعاطفة وفي السياسة أراء واهواء يصيب بها امرؤ ويخطيء ، وقد تخير من قصائده منها ما تخير ، وما كان الذي اختاره اليوم من شعره اعز عليه مما طواه ، وهو القائل في كلمته في خاتمة الديوان :

«هذه مجموعة مقاطع وقصائد تخيرتها من محصول الشعر الذي نظمته خلال خمسة عشر سنة ، وما اجرؤ على الحكم بانني احسنت التخير ، فهناك اخوات لها كثيرات قد اخطأهن الحظ ، ولعلك لو عرفتهن — (ان لم تكن قد عرفتهن) — تفضلهن او بعضهن على هذه المختارات» . فقد اختار ما اختار استجابة لعلاقة نفسية ما تزال تلعب دورها ، وقد توزعت الدنيا قلبه :

وزعت قلبي على الدنيا هوى وأسى … فكل شيء لـه في مهجتي سبب

وان من عرف الاستاذ المجذوب بمقالاته الفياضة ، وقصصه ورواياته الناقدة ، واهدافه السامية ، ورأى آثار البيان في ذلك كله ، ولا سيما في قصائده الوضاءة ، بسلاستها وسلاسلها البحترية ، فانه يقدر صدق ما قال عن مجموعته (بان ثمة عنصراً فذاً ينظم — (وهو ما اوثق به) — . كل هذه المجموعة على اختلاف ألوانها ، اعني عنصر الصدق : الصدق في الاحداث النفسية التي نفثت هذا الشعر ، والصدق في التعبير عن هذه الاحداث ، والصدق أخيراً في طريقة هذا التعبير :

فان يك غيري يغرف الشعر من بحر … فاني لعمر الله أنحتُ من صخر . . .

انه ينحت من عواطف وافكار ، وان له من الفكر المثقف ، والتربية الفنية ، والجو الروحي بما يخضع له من عوامل البيئة القاهرة ، عناصر تحلل ديوانه وتريك مصدر ما سما اليه بروحه وخياله ، وان في هذا الديوان على صغر حجمه شعراً ووطنية واخلاقاً وهمة ، وعواطف ملتاعة ، صبت واستكبرت وسخرت وابتسمت ، فكان في هذا الديوان كما قدم له بدوي الجبل « شعر يجمع الاسلوب القوي المتين ، والخيال المنجح الذي يشق الغيوم الى النجوم ، وجناحاه قوة ومران ، وجزالة وبيان » . وان قصائد الشاعر وموضوعاته اصدق ترجمان في جد وهزل بمثل قوله :

وأقسم ما مالت بنفسي ريبة … تشين ، ولم أغمس يدي بحرام
واقسم لو همت بسوء لصدها … تقىً ، لم يزل في راحتيه زمامي

هذا مع مقارنته بقوله الآخر وهو اسمى وانبل :

يظن بي التقوى أناس جهالة … لما راقهم بي من زيوف مظاهر
فمن لي برب الناس يخدع علمه … فينقذني من طيفه في الضمائر ؟ !

وهو بخلقه ودينه متين مكين ، فاذا مرّت به ومضة شاعر لم يذهب معها في متاهة كما نعرف لابي العلاء او الخيام في مواقف عديدة ؛ واذا عذل المقادير ساخراً انتهى به المطاف الى وقفة رصينة بمثل قوله :

المقادير ؟ وكم أعذلها ؟ … وهي عني ابداً في صمم !
بعثت فيّ غريباً ملهماً … بين رهط من غواة الصنم
ولو أن القت بكفي مخلباً … لكفت نفسي هوان القلم ! .

ومثل قوله :

رب ضاق الكون بالاثم ولم … تسأم الرفق به . . ما أمهلك ؟؟ .
لغز ما حله فوق الثرى … بشر او في السماوات ملك . .

واذا امتدت به النظرة الى ما وراء الطبيعة جد من بعد الهزل ،

وفكر في غمرة العاطفة وانتهى الى البرهان الذي يكشف عنه ما ادلهم بمثل قوله :

نحن !! ما نحن في رواية ذا الكون ، وحتام هذه المأساة ؟!
وخلوداً بعد الممات ستلقين كما قيل أم ستفنى الرفات ؟...
مجهل لم يزل عليك معمّى   وظنون في قفره تائهات
والذي حرت في اكتناه خوافيه لعمري حقائق ناصعات
ذرة انت في الحياة ، وما كانت سدى ، ويك هذه الذرات!.

ومضى بين فكرة وعاطفة ، ولم يفلت زمام الشاعرية، وحظ نفسه من لهيبها الممض ، ودمعها الاحمر فقال :

رب عفواً ان كان ذاك نصيبي   منك وحدي فبئس هذي الحياة
هبني الموت يا آلهي فالموت من اليأس والشقاء نجاة

وذكر الناس وملامتهم وانتهى من قصيدته (تيه)الى قوله :

ايها الناس ، انما بي – ولله شكاتي – نوائب فادحات
جسدي بينكم ولكن روحي   وأمانيّ والهدى ضائعات

وظل يبحث عن « الهدى » ، ولم تكن عاطفته (بحظها) والناس (بملاماتهم) والافكار باضطرابها لتصده عن « الهدى ». يبحث عنه حتى يجده قرين « السعادة » فيقول :

سعادة الانسان مجهولة   لكنها – والهدي – في نفسه

وهو يعرف سر الداء في (جهنم الاحياء) فيخاطب طبيبه :

انا –لو علمت– صريع حسي مسرفاً   والحس في الشعراء بيت الداء
الناس قد حسبوا الوجود سعادة   أما أنا فهناك سر شقاء
وأعيش ، ملء حشاي آلام الورى   وتنازع الاثرات ملء سوائي
وتذوب نفسي للضعيف توجعاً ،   بينا اذاتي سلوة الضعفاء
وأشد خطبي أن أغض على اللظى   ويخالني الراؤون خدن صفاء
...اقصر! طبيب، فتلك زفرة يائس   خرجت برغم نهاه في الصعداء.

وهو ان رق في مواطن الرقة وأبدى صفحة يأسه فهو في مواطن الحماس والعاطفة الوطنية وثاب طموح ، اذا بكى « فيصل » هاجه من مليك العراق طموح التاريخ فاذا به منبر الذكرى يدعو للوثبة ، ويثير الحمية ، ويحذر من خذلان التفرقة : فيقول على لسان الراحل الخالد :

كفكفوا الدمع ، واصدعوا بوصاياه فليس الدموع كل الوفاء
ان دون الحرية الهول مشبوبا تسامى عن أنفس الجبناء
وحدوا الجهد ، وانشدوا الهدف الارفع ، فرداً ولو على الاشلاء
وحذاريكم الخلاف فكم ثلّ عروشاً ، وهدّ من عليـاء
واعدوا الى غد ما يقيكم   زلة الخصر في تزاع البقاء
وارفعوا كالجدود في هالة الدهر ، تراث الآباء ... للابناء
هكذا تمهر البطولة في الميت ، وتبكى مصارع العظماء ...

وهو مع صفاء بيانه جزل ، ومع شاعريته موجز ، يحترز بلفظه ، ويمر بجملة معترضة ويظل واضحاً مشرقاً في اسلوبه ، ولم يكتفِ الشاعر في ذلك بالتعبير عن خلجاته، وانما ردد مما استعذب من شعر الغرب بعض قصائد احسن ترجمتها بلسان عربي مبين فكان بذلك مشرقاً في ترجمته، اشراقه في انشائه ونظمه ، تسمو به فكرة وعاطفة ، بين « نار ونور » في حمرة وخضرة في هذا الديوان بمختاراته ، وصاحب هذا الديوان كما قال الاستاذ بدوي الجبل :

« شاعر في حياته قبل ان يكون شاعراً في ابياته ، ونغمة في وجدانه قبل ان يكون في اوزانه .

وبعد : يا اخي الشاعر ، امتع الله بك الادب والعرب . ان في ديوانك من الوان الجمال ما لا يدل عليه الوصف ولا يحيط به ، ولا ينقل عنه الصورة الصحيحة المعبرة ، وان من الظلم للرياحين ان يصرفنا وصفها عن السكر بعبيرها، فلنترك رياحين ديوانك تتكلم عن نفسها بالنشوة والسحر والعطور ... » .

دمشق

محمود كمال الخطيب – المحامي
مدير مجلة التمدن الاسلامي

زقاق المدق

للاستاذ نجيب محفوظ – ٢٨٧ صفحة – لجنة النشر للجامعيين – مصر

هذه رواية وفصولها حياة الشعب المصري بأدق خفاياها، واجلى معانيها ، تناول بها الكاتب تصوير نفسية هذه الطبقة ومظاهرها وهي التي تشكل بمجموعها اكثرية الشعب ، وتمثل الطبقة الدنيا الكادحة في موكب العيش ، والسالكة دروب البؤس والفاقة، واذا مر بها يوم باسم فكاللمحة الى انطواء لتظل مرهقة في كدحها وتستمر ضاربة في سبيل حرمانها .

لعل احداً من الكتاب المعاصرين لم ينزل -- على كثرة ما ألف من قصص وكتب عقدت على صور لهذه الطبقات الشعبية بمصر – الى مستوى البيئة التي تعيشها هذه الطبقات ، فيعيش معها ، ويحس بأحاسيسها ويدرس نفسياتها ، ويتحرى نظرتها الى الحياة ، ومنطقها في الحوادث ، ويتعرف الى مختلف مهنها من وضيعة دنيئة (زيطة صانع العاهات ، والمعلم كرشة صاحب المقهى) الى شريفة محترمة (السيد سليم علوان والسيد رضوان) .

اجل لعل احداً من الكتّاب لم يستطع ان يصور هذه الطبقات على ما هي كما فعل الاستاذ نجيب محفوظ . فكان واقعياً الى اقصى حدود الواقع ، أميناً ولو كان في هذا الواقع ما يمس الاداب

احياناً « كعـادة لواط المعلم كرشة مثلاً » وكان دقيقاً في ابراز احاسيس هذه الفئات وانواع مشاعرها بمـا فيها من حب وكره واندفاع وايمان وكرامة ، ودناءة وغيرة وشذوذ الخ . .

لقد كتب الاستاذ توفيق الحكيم « عودة الروح » فصوّر حياة الشعب المصري بآمالها وآلامها من خلال افراد اسرة واحدة، ومن ناحية واحدة. ولكن الاستاذ نجيب محفوظ جاء « بزقاق المدق » فصور حياة الشعب المصري من خلال سكان حي بأجمعه ومن نواح عدة. فكان تصوير توفيق الحكيم تصوير هاوٍ أعمل ريشته الفنية في تحسين كثير من الخطوط العامة ، فأدخل فيما بينهـا الانسجام المحكم والاتساق في الالوان و « الرتوش » الشخصي . حتى جاءت صورته لوحة فنية كاملة من حيث اصول الفن وجمال الذوق . اما تصوير نجيب محفوظ فهو تصوير « فوتوغرافي » فحسب ، التقـط بواسطة عدسة بلغت ذروة النقاوة ، وأخذ من عدة جوانب .

ورغم ان المنظر لا يتغير في جميـع الفصول ، الا ان التصوير بمجموعه ، وهو أشبه ما يكون بفيلم سينمائي ، كان بالغاً الغاية في الصفاء والمهارة ، وتلك هي ميزة مؤلفنا ، كما اعتقد .

هذا من ناحية الجوهر اما من ناحية الشكل فقد كان هيـكل الرواية متشعباً حتى لتجد ان لكل شخصية من شخصياتهـا عقدة ولكل عقدة اطار من الحوادث، بل قد يعجب القارىء اذا ما ذكرت له ان لهذه الرواية اكثر من عشرين بطلاً . بمـا جعل المؤلف في كثير من المواقف يعجز عن ربط الحوادث بعضها ببعض ، فيضيع على القارىء روعة التسلسل ومتعة السرد ، وتتبع السيـاق ، وانتظار المفاجآت .

هذا والاسلوب بسيط ممتع لا يخلو من جفـاف في بعض الاحيان . والكتاب بجملته موفق بتصويره وتحليله ووصفه .

أديب مروة

مبادىء علم النفس العام

للدكتور يوسف مراد – ٣٩٢ صفحة – دار المعارف بمصر

حاول الدكتور يوسف مراد في هذا الكتاب وضع الحجر الاساسي في دراسة علم النفس باللغة العربية. ولا ينكر احد المجهود الجبار الذي بذله المشتغلون بعلم النفس في البلاد العربية ولكننا نعترف كلنا بان هذه المجهودات كانت محصورة في نطاق ضيق وكانت خاضعة لاساليب التخصص داخل علم النفس ، وكنا في حـاجة ماسة الى قاعدة متينة وواسعة توحد الاتجاهات التي وجدت وترسم خطة السير للمجهودات المنتظرة. وبسط المؤلف في التصدير انـه يكون من واجب كل من يشرع في وضع كتاب في علم النفس لمعالجة جميع موضوعات العلم، كما تنص عليها عادة برامج الدراسة الثانوية في مختلف البلاد ، ان يتوخى الاساليب العلمية التي تمتـاز بالامانة والدقة، وبضرورة التمييز بين ما هو يقين وبين ما هو عرضة للاحتمال والشك ؛ بين الوضع العلمي لبعض المشاكل كمشكلة الغريزة مثلاً ، ووضعها الفلسفي .» .

وزيادة على الدقة والامانة نجد في هذا الكتاب محاولة هامة خص بها هذا البحث وهي الربط بين الوظـائف السيكولوجية والمظاهر السلوكية . وهذه الخطوة المنهجية في علم النفس لهـا خطورتها في تاريخ علم النفس وهي الاساس المتين لدراسة الانسان دراسة شاملة وللوقوف على الحياة النفسية في كل اتجاهاتها المختلفة ومظاهرها المتباينة .

ومهد المؤلف لبحثه العلمي بعرض واسع لتاريخ علم النفس وتطور موضوعاته وفروعه وصلاته بالعلوم الاخرى ، ويجد القارىء تلخيصاً موجزاً وكافياً لمدارس علم النفس ومدى الانتاج العلمي موضحاً برسم بياني .

ويجد القارىء في الفصل الاول دراسة دقيقة لتصنيف الظواهر السيكولوجية، ويعتبر الفصل الاول تخطيطاً عاماً للكتاب، وقد جمع المؤلف كل موضوعات علم النفس بشكل جدول موضح للترابط والتكامل في الحياة النفسية .

واغتنم المؤلف فرصة الكلام عن دوافع السلوك ليعرض لنا الاسس البيولوجية لعلم النفس ، وتعمق في بحث الحواس وصلاتها بالحركة موضحاً شرحه برسومات دقيقة ملونة .

ويلفت الفصل الخامس نظرنا بما جمعه من افعـال منعكسة وافعال غريزية وتعودية ومن الميول الفطرية في الانسان . ويبحث المؤلف في فقرة موجزة مشكلة الميول الشخصية ومعنى المحبة وصلتها بالاغراض الذاتية والاغراض الغيرية . وازال المؤلف اللبس عن النظرية القائلة: «اننا لا نحب الغير الا بالنسبة الى انفسنا اي كوسيلة لارضاء نزعاتنا الشخصية » . ومن أهم ما بحث في الفصل الخامس الايحاء باعتباره ميلاً اجتماعياً .

وكنت اود ايجاد طريقة مختصرة لاطلاع القـارىء على كل الدقائق التفصيلية التي جاءت في الفصل السادس عن الانفعال . لقد كانت دراسة الانفعال مبعثرة والاقوال حوله متضاربة . واهم ما

قيل في تعريف الانفعال انه كان جزئياً ضيقاً لا يشمل كل مظاهر الانفعال وجاء المؤلف فربط الانفعال بالتكامل في الانسان فقال : « الانفعال دليل على ان التوافق الذي كان محققاً بين ميول الكائن الحي وبيئته ، قد هدد واضطرب وفقد ، وذلك لعجز الافعال الآلية – سواء كانت فطرية او مكتسبة – عن مواجهة ما يعتري الموقف الراهن من تغير فجائي او من صعوبة غير متوقعة » .

وامتع ما جاء في آخر هذا الفصل هو البحث في صلة الانفعال بالامراض النفسية . مما يسمح للقارىء ان يقف على تفاصيل دقيقة فيما يختص بالتفريق بين الامزجة المرضيــة والامزجة السوية . وهناك ايضاً تمييز طريف بين نوعي المزاج المنحرف : انفعــالي استجابي ، وانفعالي استفهامي .

واستطاع المؤلف ان يجمع بين احدث الابحــاث التجريبية العصرية وبين اقدم النصوص الطبية العربية . وابان لنا الدكتور يوسف مراد بنصوص طريفة كيــف كان الطب القديم يهتم بأمر المريض واحواله النفسية اهتمامه بأمر المرض . وبجانب ذلك نجد عرضاً واضحاً لاحدث ما بحث في الطب السيكوسوماتي .

وكنا نجد الادراك عادة في مقدمة الكتب النفسية ، فنرى الدكتور مراد يؤخره الى الفصل الثــامن ، وذلك لانه عرف « الادراك بانه نوع من الاستجابة ، لا لاشكــال من حيث هي مجرد اشكال حسية : بل لرموز اشياء » (ص١٥٩) – وتستند دراسة العوامل الموضوعية لصياغة المدركات الى توضيحات شكلية ورسوم تجريبية .

ونلاحظ تعمقاً في دراسة المحاولة والخطأ . وعرض لنا الباحث انواع التجارب التي استعملت بواسطة المتاهــات المختلفة . ويجد القارىء احصاءات علمية دقيقة . وينتهي الباب الثالث بدراسة قوية للتحصيل والوعي والنسيان ، ويتعمق البــاحث في درسه لمجرى الشعور وادراك الزمان تعمقاً فلسفياً قائماً على التجربة الاستبطانية . « والحاضر بالنسبة الى الزمــان الرياضي لادوام له ولا وجود له في الواقع ، فهو شبيه بالنقطة الهندسية التي لا حجم لها . هو عبارة عن الخط الوهمي الذي يفصل بين الماضي والمستقبل . اما من جهة الزمان النفساني ، فان للحاضر وجوداً وواقعية . هو حاضر يدوم مدة من الزمن قبل ان يتحول الى ماض ، وتؤدي كيفية ادراكنــا للخطة الحاضرة دوراً هاماً في ادراك مجرى الشعور وفيما يحمله هذا المجرى من حالات نفسية » (ص٢٢٣) .

ويصل القارىء في آخر الكتاب مزوداً بشتى التجارب النفسية والمعلومات البيولوجية والملاحظات الاجتماعية ليفهم الاستجــابات الاستبدالية والاستجابات الملائمة الفعالة واهم ما فيها بحثا الذكاء والانتباه والارادة . ونجد دراسة تفصيلية الذكاء وانواعه ، وعرض لاهم التجارب التي قامت بها المدارس المختلفة موضحة برسوم دقيقة تمثل مشاكل يحاول الحيوان او الطفل التغلب عليها .

ويشعر القارىء بلذة ومتعة في اثناء اطلاعه على الفصل الرابع عن الانتباه والارادة . اذ عرض مشكلة الارادة في اسلوب شيق ممتع . ويزيد الكاتب هذا الموضوع طرافة بربطه بالفصول السابقة :

« ولنذكر الآن كيف انتقلنا من قطب الاستجابات المباشرة الى الاستجابات المرجأة : كانت حلقة الانتقال هي سلوك الانتظار الذي يقضي بالتنبه الى الشيء . والنظر فيه قبل القيام بالعمل وعلى هذا يكون اول مظهر من مظاهر السلوك الارادي هو المنع او الكف inhibition ويكون المظهر الثاني هو الانتباه الذي ينطوي على عمليتين هما عملية الكف اولاً ثم عملية التركيز في اتجاه معين دون غيره » .

واهم مــا جاء في هذا الفصل هو التمييز بين مراحل الفعل الارادي . وقد وجد الباحث ان « التخيل الطليق الشريد يكون اقل مؤونة من استحضار الذكريات ، وكلما انتقل الفعل من المجــال الداخلي الى المجال الخارجي زادت صعوبته ، كما ان مستوى التوتر يرتفع ويزداد » .

وخصصت الخاتمة للوقوف عــلى تكامل الشخص في البيئة الاجتماعية . وتفطن المؤلف الى طريقة التعريف بالامثلة . وتناول دراسة الشخصية من ناحية الشعور الذاتي المنجلي للشخص نفســه ومن ناحية الاثر والمظاهر السلوكية

والكتاب مزود بتمارين وأسئلة دقيقة تساعد المدرسين على التأكد مــن فهم الطلاب لمحتويات الفصول ، وصعوبة علم النفس راجع الى استعماله معاني مجردة وحقائق تخفى على الاحداث الذين لم يجربوا الحياة . ويجد القارىء في آخر الكتاب المصطلحــات الاوربية في علم النفس مترجمة الى اللغة العربية ، بــذل المؤلف فيها مجهوداً جباراً لايجاد الالفاظ العربية الصحيحة المعبرة عن المعاني النفسية الدقيقة . وقد سد هذا الكتاب فراغاً كبيراً في مكتبتنا العربية ، وفائدته المدرسية والجامعية لا تنكر ونرجو للطبعــات القادمة نجاحاً أكبر . .

القاهرة

ابو مدين الشافعي

جولة الأديب في شهر

مات غاندي

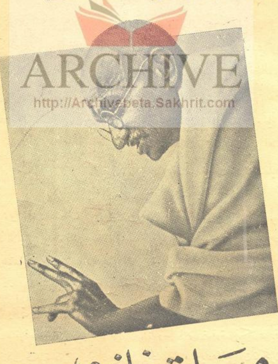
في الثلاثين من كانون الثاني ١٩٤٨ انطفأت الشعلة التي انارت السبيل امام خمسمائة مليون هندي، وعلمت الناس ان المحبة اقوى من البغض، وان الروح اشد فعالية واثراً من المادة.

لقدمات الانسان الذي اثبت ان الانسان ينفع، فيما لا تستطيع ان تنفع القنبلة الذرية.

مات الذي نفخ في الشعب الهندي روح الاستقلال والسلام والتسامح واللين، والذي وقف في وجه امبراطورية لا تغيب الشمس عن اراضيها، والذي صام، حتى الموت، لانقاذ بلاده من المستعمر، والفوضى.

لقد تلفت العالم، نهار الثلاثين من كانون الثاني ١٩٤٨، فاذا به يفقد غاندي اكبر علم من اعلام القرن العشرين.

قاوم اعظم دولة، وصام، مقدماً حياته ضحية في سبيل انقاذ وطنه من الخلاف بين طوائفه، ولكن الهنود رضخوا لمشيئة «أبيهم ومعلمهم» وانقذوا حياته من الموت. ولكن ثلاث رصاصات من يد اثيم متطرف، اخترقت صدر غاندي، فاخترقت في آن معاً،



لم يشترك العالم في الحزن على فقد انسان، كما اشترك في موت رجل القرن العشرين، فهذا الرجل الذي لم يكن امبراطوراً او قائداً حربياً، والذي لم يكن صاحب مناجم للذهب او مصانع للسيارات، هذا الرجل الذي لم يكن يملك من المادة الفانية الا اشياء يملكها اي رجل مهما بلغت رقة حاله.. هذا الرجل نفسه، شغلت وفاته ألسنة المتكلمين في محطات الاذاعة، واقلام الكاتبين على صفحات الصحف، ورسالات وكالات الاخبار في اجواء الاثير، ونكست منظمة صدر السلام والمحبة.

***

كان المهاتما غاندي متوجهاً الى الصلاة، فتقدم منه شاب هندوسي يفوق سنة عن الثلاثين. ويرتدي الالبسة الخاكية، واطلق عليه ثلاث رصاصات من مسدسه أصابته في صدره ورقبته، فتفجرت الدماء، وغمرت المعطف القطني الذي كان يرتديه.

ولما افاق المحيطون به من الرجال والنساء من هول المفاجأة، هرولوا لحمله قبل ان يسقط، وتكاثرت الجماهير فقبضت على المجرم القاتل الذي عرف فيما بعد ان اسمه «رام ناتورام».

وكانت الكلمة التي ختم بها غاندي حياته الحافلة، وقد وجهها الى من حوله قبل ان يلفظ النفس الاخير: «اغفروا له ولا تعاملوه معاملة قاسية»..

الامم المتحدة علمها عليه حداداً ، وأبدى رؤساء الدول الكبار المهم لهذه الكارثة التي تصيب الانسانية .

ولعل من الخير ان نلتفت قليلاً الى بعض خطوط من حياة هذا الانسان الفذ :

ولد غاندي في « بورد باندر » عام ١٨٦٩ ووقف حياته منذ صغره للدفاع عن الهند .

قصد افريقيا للتجارة ، فآلمته اوضاع الهنود المقيمين فيها ، فدافع عنهم دفاعاً مجيداً كان له الاثر البعيد في تحسين احوالهم .

ذهب الى انكلترا ودخل احدى جامعاتها ونال شهادة المحاماة، وقال عند تسلم الشهادة : « انه اختار المحاماة ليحمي الهنود ، ويدافع عنهم مع ان اباه كان يفضل ان يكون طبيباً » .

وعاد غاندي الى الهند، وبدأ صيامه عام ١٩٢٢ لحل الخلافات القائمة بين طوائف الهند فنجح في سلوك هذا السبيل الروحي .

ثم اعتكف غاندي في داره الصغير ، واكتفى بالثوب الابيض – وهو من صنع يده – ولبن معزته المحبوبة ، وبدأ يلقي نصائحه على مواطنيه : المحبة والسلام ومقاطعة الاجانب .

وصورته الصحف العالمية بصور اقرب الى الفكاهة والتهكم منها الى الجد والرصانة . ولكن هذه الصحف نفسها سرعان ما عادت الى احترام حركة غاندي واهدافه ، عندما وجدت ان كثيراً من الهنود قد حذوا حذوه وآمنوا بكلماته ، واطلقوا عليه لقب « النبي » .

وقلق الانكليز ، واهتم العالم ، واخذت الصحف الامريكية والاوربية ترسل مكاتبيها الى الهند للاجتماع اليه ، فقال بعضهم : انه رسول جديد وان في وجهه وابتسامته وحديثه ما يشبه الاطفال . وبدأت لندن تبدي قلقها . .

لقد كان زعيم الهند الاوحد لا يفرق بين الاديان ، ولا ينظر نظرة خاصة الى الاحزاب ، وحاول بنفوذه الروحي ان يقضي على عادات الهندوس التقليدية فكاد يذهب ضحية فكرته الاصلاحية اكثر من مرة : خرج يوماً من داره ، وقتل بقرة امام جماعة من الهندوس المتعصبين .

هو لم يخف ، وهم لم يجرؤوا على الاعتراض ، لما كان له من نفوذ بين الهنود وتأثير روحي فيهم .

وصام غاندي عدة مرات ، وكان لا يصوم الا من اجل الهند . انه يؤمن ان الارادة اقوى من كل شيء، وهو الذي قال :

« اني اعلم ان اللاعنف خير من العنف ، وان العفو ادل على الرجولة من القصاص ، العفو حلية الجندي ، ولكن عدم القصاص لا يكون عفواً الا حيث تكون القدرة على القصاص، ولا معنى له اذا بدر من عاجز ، ولا اعتقد ان الهند عاجزة ، فانه لا يقدر مئة الف انكليزي على تخويف ثلاثمئة مليون من الناس . ثم انه ليست القوة في الاسباب المادية بل هي في الارادة التي لا تقهر ، وما كان اللاعنف خضوعاً وانقياداً للمسيء ، بل ان اللاعنف يضاد ارادة العاتي بجماع قوة النفس ، هكذا يقدر رجل واحد على اعجاز مملكة باسرها حتى يكون علة سقوطها » .

فهذه السنة في الكفاح غير المسلح طبقها غاندي في حياته فأثرت في توجيه خمسمئة مليون هندي توجيهاً روحانياً كان له من الآثار ما لا يكون لاي سلاح او نضال .

وعندما نشب القتال بين هندستان وباكستان ووقعت تلك المذبحة الشنيعة بين الشعبين ، لجأ غاندي الى سلاحه وأعلن الصيام للمرة الخامسة « اما ان تقفوا القتال وتتفقوا ، واما ان اموت » .

وعندما نجحت خطته التقليدية وكاد الشعبان ان يتفقا . . . قضوا على حياته . .

قتلوا الانسان الذي عاش ومات في سبيل الهند . والذي قدم لقومه ناموساً للتضحية لا يموت ، قتلوا الذي قال : « اذنت لنفسي بأن اقدم للهند ناموس التضحية القديم ، ناموس الالم . ليست ديانة اللاعنف للقديسين فحسب ، بل هي لعامة الناس . ذلك هو ناموس نوعنا كما ان العنف هو ناموس العجماوات . كرامة الانسان تتطلب ناموساً اسمى : قوة الفكر والروح . اريد الهند على العمل بهذا الناموس . اريدها على ان تكون شاعرة بسلطانها ان لها روحاً لا يموت . ولهذا الروح يعجز كل ما في العالم من قوى مادية » .



٢١ كانون الثاني ١٩٤٨ – دشن الامبراطور هيروهيتو المجلس السياسي وطلب من الامة اليابانية بذل جميع الجهود للتغلب على الازمة الاقتصادية واكتساب الثقة الدولية من جديد .

٢٢ – صرح الوصي على عرش العراق بانه لن يوقع على المعاهدة الانكليزية الجديدة .

٢٣ – القى المستر بيفن بياناً قال فيه : ان سياسة روسيا الخارجية ستؤدي حتماً الى وقوع الحرب .

٢٤ – اتفقت الحكومتان البريطانية والفرنسية على قضية تخفيض الفرنك .

– طلبت لجنة فلسطين الدولية الى مجلس الامن ان يدرس قضية وجوب ارسال قوة دولية الى فلسطين .

٢٥ – وصل بغداد الوفد العراقي المفاوض، فاستقبله الجمهور بمظاهرات عنيفة هاتفاً بسقوطه وحياة الملك .

٢٧ – قررت اللجنة المالية الفرنسية رفض مشروع الحكومة لاقامة سوق حرة للعملة الذهبية .

٢٨ – استقالت الوزارة العراقية .

٢٩ – نشر تيودور روزفلت مقالاً اتهم فيه المستر ترومن بالمتاجرة بالمصلحة الاميركية في سبيل مصلحته الانتخابية .

– كلف السيد محمد الصدر بتأليف الوزارة العراقية .

– اطلق شاب هندوسي النار على المهاتما غاندي فأرداه قتيلاً .

٣٠ – ارسلت الحكومة السورية الى الحكومة الفرنسية قرارها الاخير بشأن الاتفاق المالي رافضة توقيع الاتفاقية، وانفصالها عن كتلة الفرنك .

– ارسلت الحكومة السوفياتية احتجاجاً على وجود سفن حربية اميركية في مرافئ ومياه ايطاليا .

٣١ – احرقت جثة غاندي وسيلقي رمادها في نهر جوما المقدس، وقد تبين ان القاتل ينتمي الى حزب هندوسي متطرف .

– ردت اميركا المذكرة السوفياتية .

٢ شباط – قدم سفير الاتحاد السوفياتي في طهران مذكرة احتجاج بشأن نشاط بعثة الولايات المتحدة العسكرية في ايران .

– صرح دولة مردم بك بشأن انفصال النقد السوري عن الفرنك، ان فرنسا اصرت على منحها امتيازات اقتصادية فرفضت سوريا وقبل لبنان وانه ليؤلمنا ان نرى لبنان يسلك مسلكاً خطراً ينافي مصلحته ومصلحتنا .

٤ – اشار وزير الخارجية السويدية الى ان السويد لن تنضم لاية كتلة وانها لن تغير موقفها الحيادي في اية حرب قادمة .

٥ – وقعت معاهدة صداقة وتعاون ومساعدة متبادلة بين الاتحاد السوفياتي ورومانيا .

– ارسلت ايران الى الاتحاد السوفياتي مذكرة ترفض فيها بشدة الاتهامات التي وجهها اليها حول نشاط البعثة الاميركية العسكرية .

٦ – عقد مجلس الجامعة العربية في القاهرة جلسته الاولى لبحث قضايا فلسطين وليبيا والمغرب .

٧ – اخفقت كل الجهود التي بذلها مندوب الفيليبين، في لجنة فلسطين الدولية مع المستر كادوغان لتأليف ميليشيا يهودية في فلسطين

٩ – اخفقت المفاوضات بين الوفد الاردني والحكومة البريطانية لتعديل معاهدة ١٩٤٦ .

١٠ – وجهت بريطانيا دعوة للاتحاد السوفياتي للاشتراك مع الدول الغربية بمراقبة نشر وثائق وزارة الخارجية الالمانية المتعلقة بالمفاوضات التي جرت بين هتلر وروسيا وبين هتلر والدول الغربية .

– فتحت الحدود الفرنسية – الاسبانية .

١١ – بدأ مجلس الامن بدراسة كيفية فرض التقسيم لفلسطين وقد عارض في الامر فارس بك الخوري، وقال ان هذا البحث سابق لاوانه كما ان اعمال اللجنة غير شرعية .

١٢ – القيت عظام المهاتما غاندي ورماد جثته في ملتقى الانهر المقدسة الثلاثة جومنا والغانج وساراسواتي في الله اباد .

١٤ – ارسلت الحكومة السوفياتية احتجاجاً الى الحكومة البريطانية بأنها لا تعترف بالمقررات التي يمكن ان تتخذ في المؤتمر القادم بلندن بين اميركا وانكلترا وفرنسا .

– صرح وزير المستعمرات البريطاني لدى وصوله الى اميركا ان الهجمات العربية ستصبح عنيفة جداً عندما تصل لجنة الخمسة الى فلسطين قبيل الجلاء البريطاني منها .

١٦ – اذاع الجنرال ايزنهاور تقريراً دعا فيه الولايات المتحدة الى الاستعداد لرد كل هجوم ذري مفاجيء، والى تأليف جيش كبير .

– نشب خلاف بين بريطانيا والارجنتين وتشيلي حول ملكية جزر الفولكلاند وقد انزلت الارجنتين وتشيلي قوات برية اليها .

– اعلن في الولايات المتحدة انها ستقف على الحياد في الخلاف على جزر الفولكلاند .

– حدثت اضطرابات خطيرة في طرابلس الغرب فوقع بعض القتلى والجرحى واعتقلت السلطات البريطانية بعض الزعماء .

١٨ – وافقت لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الاميركي بالاجماع على مشروع الانقاذ الاوروبي لمدة واحد وخمسين شهراً ابتداء من اول نيسان .

١٩ – اذيع للمرة الثانية نبأ وفاة الامام يحيى حميد الدين ملك اليمن وقد قررت الجامعة العربية ايفاد بعثة الى صنعاء للاطلاع على التطورات السياسية الاخيرة التي حدثت في اليمن .

٢٠ – هاجم مندوب الاتحاد السوفياتي في هيئة الامم المتحدة الحكومة الهولاندية واتهمها بارتكاب الاعمال الوحشية في اندونيسيا .